الكتب المقدسة

في

ميزان التوثيق

بقلم

عبد الوهاب عبد السلام طويلة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩

هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

e-mail : info @ dar-alsalam.com http : //www.dar-alsalam.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، خالق الكون ومبدعه ، واجب الوجود ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير متصف بكل كمال منزه عن كل نقصان . خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وفطره على الحق ، وزينه بالعقل ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً . والصلاة والسلام على صفوة البشر الذين اختارهم فنبأهم وأرسلهم هداة للناس يأخذون بأيديهم إلى بر الأمان .

والإنسان مركب من جسم مادي وروح هي سر الحياة . ولكل منهما غذاؤه ومقوماته اللذان لا يستغني عنهما ، ولا يصلح شأنه إلا بهما . فمقومات العنصر المادي هي الأطعمة والأشربة وغير ذلك ، ومقومات الروح إنما هي معنويات لا تفي العقول أو الأفكار وحدها بها . بل إنما تفي بها هداية الله

عن طريق أنبيائه وكتبه التي أنزلها عليهم . وبذلك يعيش الإنسان حياة متوازنة لا ميل فيها لجانب على حساب جانب آخر .

ولما كانت القلوب تقسو ، والنفوس تتغير وتتحكم فيها الشهوات ، ولا سيا إذا بعد العهد وطال الأمد ، فإن حكمة الله اقتضت أن تبقى كتبه بين أيدي الناس بعد موت نبيهم يقرؤون فيها ويطبقون أحكامها . كما اقتضت حكمته أن يلزم العباد بأقوال وأفعال يكررونها في أوقات متقاربة ، تذكرهم بالله واليوم الآخر وسائر تعاليم الأنبياء ، ألا وهي العبادات المتنوعة كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، فيبقى إيمانهم غضًّا طريًّا ، وتطمئن قلوبهم بذكر الله . فالرسالات بما حملت في كتبها المنزلة من هدايات هي التي تجنب الإنسان خطر الضلال والشقاء والقلق والاضطراب ، وتحقق له الموازنة الصحيحة بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسم ، من غير أن يطغى جانب على جانب .

إذًا فالكتب السماوية المقدسة لها دور كبير في استقرار

حياة الإنسان في الدنيا ، وتهيئته للظفر بسعادة الآخرة . لكن هل كل كتاب مقدس في زماننا هو حقيقة كتاب سماوي نزل به الوحي ؟ وهل كل كتاب حمل اسم نبي من الأنبياء هو حقيقة من كلام ذلك النبي وتعاليمه ؟؟ يقول المثل : « ثبت العرش ثم انقش » غير أن هذا لا يكون إلا بأمرين : ثبوت ذلك الكتاب إلى النبي المنسوب إليه وفق الشروط والقواعد التي وضعها العلماء في قبول الرواية ونقل الأخبار ، وخلوه من التعارض والاضطراب . لأن ما كان من عند الله يؤيد بعضه بعضًا بتضافر معانيه وتناسقها ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ . لذلك سأعرض لمحة تاريخية عن كل كتاب مقدس ينسب إلى الوحي السماوي في زماننا ، وأضعه في ميزان التوثيق المكون من القواعد والضوابط والشروط التي وضعها العلماء ، وأقر بها العقلاء لثبوت الكتاب السماوي . فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . ألا وإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأشرف الكلام ذكر الله ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف الموت موت الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد

الهدىٰ ، وشر العمىٰ عمىٰ القلب ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، ورأس الحكمة مخافة الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المدينة المنورة ، ينبع الصناعية ٢١ / ١ / ١٤١٠ هـ

توطئة

في شروط صحة الكتاب السماوي

ثمة تلازم بين عقيدة كل قوم وكتابهم المقدس ؛ فإذا ثبت بطلان الكتاب أو تحريفه لزم من ذلك فساد عقيدتهم التي تقوم عليه . ولا يكفي مجرد الادعاء ، بل البينة على المدعي . وقد وضع الباحثون قواعد وشروطًا لقبول الكتاب السماوي والتسليم به ، أهمها ما يلي :

١ ـ أن يكون النبي الذي يُنسب الكتاب إليه ، ويُدعى نزوله عليه قد عُلم صدقه يقينًا بواسطة دلائل النبوة المعروفة .

٢ ـ أن يذكر ذلك النبي صراحة أن الله سبحانه أوحى به إليه ، ويدعم ذلك بالبينات الثابتة من معجزات وغيرها ، ثم يثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ، أو بالكتاب نفسه إن كان معجزًا .

٣ ـ أن تكون نسبة الكتاب إلى النبي ثابتة بالطريق القطعي ؛ وذلك بأن يثبت أولاً أنه ضُبط من قِبَل ذلك النبي

سماعًا ، ثم تلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل ، من غير أية مظنة للانتحال أو التحريف أو التبديل . وأساس ذلك التواتر .

٤ ـ أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضًا أو مضطربًا يهدم بعضه بعضًا ؛ فلا تتعارض تعاليمه ولا تتناقض أخباره أو تخالف الحقائق والوقائع ، بل يكون كل جزء منه مكملاً للآخر ومتممًا له . لأن ما يكون من عند الله لا يختلف ولا يفترق ، ولا يتناقض ، ولا يخالف الحقائق الثابتة . قال سبحانه : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ [1] (النساء / ٨٢) .

ونحن على ضوء هذه القواعد والشروط سنستعرض الكتب التي تنسب إلى الوحي السماوي في زماننا لنرى مدى صحة كل كتاب . ولن أفتئت على قوم بقول لا يقبلونه ، أو أبهتهم بشيء لا يعرفونه . بل إنما سأذكر ما يقرون به ويعترفون ، مما نطقت به أسفارهم أو أقر بصحته علماؤهم . أما الاستنتاج

(١) إظهار الحق ١ / ٦ ، محاضرات في النصرانية ص ٩٣ ـ ٩٤ .

فهو من حق الباحث والقارئ .

ا ـ وسأبدأ أولاً بمصادر التشريع الإسلامي . ويشمل ذلك ما يلي :

١ ـ لمحة موجزة عن عناية المسلمين بالأسانيد .

٢ ـ توثيق النص القرآني ومراحله . ويشمل ذلك ما يلي : نزول القرآن منجمًا وحكمة ذلك ـ كتابة القرآن وحفظه حين نزوله ـ نزول القرآن على سبعة أحرف ـ جمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه ـ توثيق القرآن وتعميمه في زمن عثمان رضي الله عنه ـ لمَ منع عثمان سائر الصحف ـ امتناع تحريف القرآن الكريم .

٣ ـ انسجام معاني القرآن الكريم وتناسق مبانيه .

ب ـ ثم أُثنّي بما يُعرف لدىٰ أهل الكتاب بالتوراة أو أسفار الشريعة أو كتب موسىٰ الخمسة .

ويشمل البحث فيها ما يلي :

١ ـ لمحة تاريخية عن التوراة والأدوار التي مرت بها .

٢ ـ مدىٰ صحة العهد القديم . ويتضمن ذلك ما يلي : عدم وجود سند أو شبهة لهذه الأسفار ـ جهالة الكتاب الحقيقيين لها ـ وجود ثلاث نسخ رئيسية مختلفة للعهد القديم ـ تغيرٌ موقف الكنيسة علىٰ التوالي من العهد القديم .

٣ ـ اضطراب العهد القديم . وسأعرض فيه نماذج من الفروق بين النسخ الثلاث ، فنماذجَ من التناقض والأغلاط في الأسفار الخمسة ، وأختم البحث فيه بنماذج من التناقض بين التوراة وسائر الأسفار .

جـ ـ وأخيرًا نستعرض أربعة الأناجيل المعترف بها لدى النصارىٰ اليوم . ويشمل ذلك ما يلي :

١ ـ لمحة تاريخية عن الأناجيل والأدوار التي مرت بها ، مبينًا حقيقة الإنجيل عند النصارىٰ ، معرجًا علىٰ بولس ودوره ، فعرضة كتابهم المقدس للتحريف .

٢ ـ مدىٰ صحة العهد الجديد ويتضمن ذلك ما يلي : عدم وجود سند أو شبهه لأسفاره ـ جهالة مصنفيها الحقيقيين ـ اضطراب متنها .

٣ ـ نماذج من التناقض والتحريف في الأناجيل . ويتضمن ذلك : نماذج من تعارض الأناجيل مع العهد القديم ، فنماذج من تعارضها فيما بينها ومع نفسها ، ثم نماذج من تعارضها مع الحقائق والوقائع .

وإنما قدمت البحث في توثيق المسلمين لنصوص تشريعهم ، لأن أهل الكتاب لا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار كما سنرى . وبضدها تتميز الأشياء .

عناية المسلمين بالأسانيد

إن علم الإسناد في نقل الروايات ظاهرة اختصت بها أمة محمد ﷺ ، ولا سيما في مجالي قراءات القرآن الكريم ونقل سنة رسول الله ﷺ .

ومن الملاحظ أن الأسس والأركان الرئيسية لعلم الرواية ونقل الأخبار مذكورة في القرآن والسنة :

فقد جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين ﴾ (الحجرات / ٦).

وجاء في السنة قوله ﷺ : « نَضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلَّغه كما سمعه ، فرب مبلَّغ أوعىٰ من سامع » ـ رواه الترمذي وقال حسن صحيح ـ .

وامتثالاً لأمر الله ورسوله كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها ، ولا سيما إذا شكّوا في صدق الناقل ، حتى إنهم كانوا يتهمون من يكثر من الرواية خشية

أن يخبر عن الرسول ﷺ بغير ما رأىٰ أو سمع . فكان عمر - رضي الله عنه - يستحلف الراوي أنه سمع ذلك من الرسول مباشرة ، وفي بعض الأحيان كان يطلب شهودًا علىٰ ذلك (١) .

وظهر بناء على ذلك موضوع الإسناد وقيمته في قبول الأخبار أو ردّها . بل صار الإسناد في الحديث هو الأصل الذي عليه الاعتماد . قال سفيان الثوري : « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل » . وقال عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» . وقال الشافعي : « الذي يطلب العلم بلا سند كحاطب ليل ، يحمل حزمة حطب ، وفيه أفعىٰ وهو لا يدري » (٢) .

وبناء على أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده ظهر علم (الجرح والتعديل) والغرض منه الكشف عن أحوال الرواة ، وتمييز صاحب الأهلية من غيره ، ومعرفة المتصل أو المنقطع

---

(١) جامع الأصول ١ / ٧٧ - ٧٨ ، لطائف الإشارات ١ / ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) جامع الأصول ١ / ١٠٩ ، صحيح مسلم ١ / ٢٢ ، فيض القديرا / ٤٣٣ .

من الأسـانيـد ، ومعرفـة العلل الخفيـة . وقـد بـذل العلمـاء في ذلك جهدًا عظيمًا للتحري عن أحوال الرواة ودراسـة حيـاتهم . وكانوا في غايـة التجرد والموضوعيـة . وقـد ألّفوا كتبًا في أسماء الرجـال وتوثيقهم أو تضعيفهم . فلستَ ترىٰ حـديثًا عن النبي ﷺ إلا وترجمـة رواتـه كلهم في تلـك الكتب . وليس ثمـة شخص جاء ذكره في حديث إلا تعرض له المحدثون بـالجرح أو التعـديـل ؛ فهنـاك كتب انفردت بتنـاول الثقـات ، وكتب انفردت بتناول الضعفـاء ، وكتب ألفت في الطبقـات ، وكتب في معرفـة الأسماء وفروعهـا وغير ذلـك . ولا يقبل حـديث في سنده راوٍ لا يعرف حاله [1] .

ثم توسع العلماء في ذلـك حتى ظهرت علوم كثيرة متفرعـة تتعلق بالحديث من حيث ضبطه وكيفيـة تحملـه وأدائـه وغير ذلك ، حتى نشأ علم (مصطلح الحديث) وهو علم يُعنىٰ بقواعد وأصول يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد على نحو لا مجال بعده للحيطة أو التثبت .

---

(١) السنة ومكانتها للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

وقد برع علماء الحديث في حفظ الأحاديث بأسانيدها حتى كانوا أعجوبة الدنيا في ذلك ، إذ كان الكثيرون منهم يحفظون عشرات الآلاف من الأحاديث بأسانيدها ، ويميز صحيحها من سقيمها . فكانوا بحق حفظة دين الله وحراس شريعته [1] .

أقسام الخبر من حيث القبول أو الرد :

قسم العلماء الخبر من حيث قبوله ورده ، أو صحته وضعفه إلى ما يلي :

١ ـ **الحديث الصحيح** : وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة .

والعدل : هو المسلم البالغ العاقل الثقة المأمون المتصف بالتقوىٰ .

أما الضبط فنوعان : ضبط حفظ في الصدور وضبط كتابة في السطور .

---

(١) منه ص ١٢٥ ، جامع الأصول ١/ ٣٩ ـ ٤٠ .

٢ ـ الحديث الحسن : وهو الذي تتوفر فيه شروط الصحيح نفسها ، غير أن أحد رواته دون الصحيح في الضبط والحفظ والإتقان .

٣ ـ الحديث الضعيف : وهو ما اختل فيه شرط من شروط الصحة أو الحسن ، كما إذا كان أحد رواته مجهول الحال أو سيّئ الحفظ أو كان في سنده انقطاع أو ما أشبه ذلك .

أقسام الخبر من حيث قوة السند :

يقسم الخبر من حيث تعدد طرقه وقوة سنده إلى قسمين :

١ ـ الحديث المتواتر: وهو ما رواه جمع كثير عن جمع كثير مثلهم ، بحيث يستحيل أن يتفقوا على الكذب ، في كل طبقة من طبقات سنده إلى رسول الله ﷺ .

٢ ـ خبر الآحاد : وهو ما لم تجتمع فيه شروط التواتر . ويشمل ذلك ما يلي :

ا ـ المشهور : وهو ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة من طبقاته ، ولم يبلغ حد التواتر .

ب ـ العزيز : وهو ما رواه اثنان عن اثنين في كل طبقة .

جـ ـ الغريب : وهو ما رواه راو واحد في طبقة من طبقات سنده .

ومن الجدير بالذكر أن مصادر التشريع الإسلامي التي تستند إلى الوحي إنما هي القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ فأما القرآن الكريم فيشترط في ثبوته التواتر ، وأما السنة ، وهي ما أثر عن الرسول ـ ﷺ ـ من قول أو فعل أو تقرير ، فيشترط لاستنباط حكم شرعي منها أن يكون الحديث صحيحًا أو حسنًا .

* * *

توثيق النص القرآني ومراحله

انفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية التي سبقته بتوثيقه توثيقًا مكينًا وصل إلى الذروة . وهذا هو سر خلوده وأحد مفاتيح إعجازه . أما الكتب السماوية السابقة فإنما أُوكل حفظها إلى علمائها ، لا إلى الأمة كلها . ولذلك ضاعت وحُرفت بعد جيل أو جيلين من موت النبي الذي أنزلت عليه كما سنرى . وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ (المائدة / ٤٤) أي بما سألتهم أنبياؤهم حفظه من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء ورقباء لئلا يطرأ عليه التبديل والتغيير [١] .

ولما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، وقد نزل على خاتم الأنبياء ، فقد تكفل الله بحفظه صحيحًا سالمًا من التحريف أو التبديل ، حتى في طريقة أدائه وتلاوته . قال

(١) الكشاف للزمخشري ١ / ٦١٥ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٦٨ - ١٦٩ .

سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾(الحجر / ٩) ولذلك أوْكَل حفظه إلى الأمة كلها ، وسَنَّ لها رسول الله - ﷺ - سنة حفظه كاملاً . وقد عُني المسلمون الأولون والآخرون بحفظ القرآن وسلامته عناية ملكت عليهم كل مشاعرهم وأحاسيسهم ، فكانت هذه العناية مصداقًا للآية الكريمة . ولذلك فإن تاريخ القرآن الكريم وتوثيقه معروفان بدقة متناهية لا تدع أيَّ مجال للخطأ أو الشك . وإليكم تفصيل ذلك :

نزول القرآن منجمًا وحكمة ذلك :

نزل القرآن منجمًا خلال ثلاث وعشرين سنة لحكم كثيرة ، منها ما يلي :

١ - تثبيت فؤاد النبي - ﷺ -: قال سبحانه : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نُزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾ (الفرقان / ٣٢) أي أنزلناه كذلك مفرقًا لنثبت به قلبك . ويظهر التثبيت من الوجهين التاليين :

ا ـ إنه إذا نزل الوحي على النبي ـ ﷺ ـ حالاً بعد حال قوي قلبه ، وكان في ذلك إعانة له على الصبر واحتمال الأذىٰ ، وتقوية على أداء ما تحمل .

ب ـ كان النبي ـ ﷺ ـ يضيق صدره في بعض الأحيان بإيذاء المشركين له ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون** ﴾ (الحجر : ٩٧) وبنزول القرآن منجمًا يقص الله سبحانه عليه من قصص من سبقه من الأنبياء ما يناسب الحالة التي هو فيها ، فيضفي عليه الأنس والسكينة قال سبحانه : ﴿ **وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق ، وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين** ﴾ (هود : ١٢٠) ، كما أن في ذلك أيضًا تثبيتًا وترغيبًا للمؤمنين وإنذارًا وتحذيرًا للكافرين .

٢ ـ إن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه ، وقد تحدى الفصحاء أن يأتوا بسورة من مثله فإذا نزل منجمًا تكرر التحدي إلى أن يأخذ كماله باكتمال نزوله .

٣ ـ تيسير كتابته وإحكام حفظه ؛ فقد كان النبي ﷺ

أميًا لا يكتب ولا يقرأ ، فلو نـزل عليـه القرآن جملـة واحـدة لشق عليـه حفظـه ، ولربمـا اعتمـد على كتـابـة من يكتب لـه الكتاب عند نزولـه ، وتسـاهل في حفظـه . فلمـا نزل منجمًـا سهل عليه حفظه ، وبقيت سنة حفظ القرآن بكماله في أمته .

كما أن العرب كانوا أمـة أميـة ، قـل فيهم من يحسن القراءة والكتابـة ، ولو نزل دفعـة واحـدة لشق عليهم حفظـه ، وثقل لفظه .

٤ ـ كان القرآن ينزل بحسب الأسئلة والوقائع والمنـاسبـات كما هو واضـح في أسبـاب النزول ، فكان الصحـابـة ـ رضي الله عنهم ـ بذلـك يزدادون بصيرة . ولو نزل دفعـة واحـدة لفـات هذا الغرض .

٥ ـ لتستعد القوى الإنسـانيـة لتلقي هـذا الفيض الإلهي ، ولتقوى على وعيه وفهمه ، ولو نزل بـالأحكام والمعارف دفعـة واحدة لثقل ذلك على النـاس . وبنزولـه مفرقًـا حصل التمهيـد في إكساب المعارف والتـدرج في الأحكام الشرعيـة ، كما حـدث في تحريم المسكر . قال سبحانه : ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه على**

الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ (الإسراء / ١٠٦) [١] .

كتابة القرآن وحفظه حين نزوله :

كان النبي - ﷺ - دقيقًا كل الدقة وحريصًا كل الحرص على كتابة القرآن وعدم اختلاط غيره به ، فقد كان له كُتّاب وحي يتلقفون ما ينزل عليه ، فيكتبونه في وعي وإدراك ودقة وإتقان . بلغ عددهم تسعة وعشرين كاتبًا ، أشهرهم الخلفاء الخمسة الأوائل والزبير بن العوام وسعيد بن العاص وأُبيّ ابن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم [٢] .

وكان - ﷺ - يأمرهم بكتابة الوحي حين نزوله ، ويقف أصحابه عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب آيات السور ، ويعلمهم مواضعها منها ، فما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله - ﷺ - من يكتب أن يضعها في مكان كذا من سورة كذا [٣] .

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني ص ٢٤ ، إظهار الحق٢ / ٥٦ - ٥٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ٦ ، الإتقان في علوم القرآن١ / ٧ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ص ٥ ، الإتقان ١ / ٦١ ، الفوائد في مشكل الآثار =

وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتلقون ما نزل من فم النبي ﷺ ويتسابقون إلى حفظه ، ويتبارَوْن في تلاوته . والنبي ﷺ بينهم يعرضون عليه ما حفظوا ليتثبتوا من حفظه على ما سمعوا منه . كما كانوا يسمعون منه تلاوته في الصلوات الجهرية وغيرها مع بيان أحكامه وكشف معانيه وكان من حضر النزول منهم يُعلم من لم يشهده من إخوانهم ، فضلاً عن أهل بيتهم ، فيجري التنافس الكبير على حفظه . وقد شارك النساء الرجال في هذه المنافسة والشرف العظيم [1] .

وهكذا كان حفظ القرآن وكتابته يسيران جنبًا إلى جنب ليلتقي المكتوب بالمحفوظ ، فكلاهما توثيق للآخر . وما من آية إلا وقد كان يحفظها جمع تقوم الحجة بنقلهم . وقد تمثل حرص النبي ـ ﷺ ـ على كتابة القرآن حين نزوله على هذا المستوى الكبير من الدقة والإتقان في منع كتابة أي شيء عنه سواه ، حتى لا يختلط به ما ليس منه ، ولا سيما في أول الأمر . ثم سمح بعد ذلك بكتابة سنته حيث أُمن اللبس .

= للعز بن عبد السلام ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(١) مقدمتان ص ٦٧ ، الإتقان ١ / ٧٣ .

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ـ: لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه . ـ أخرجه مسلم ـ .

وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يعارض النبي ـ ﷺ ـ بالقرآن كل سنة في شهر رمضان .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ كان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ـ أخرجه الشيخان والنسائي ـ .

وفي رواية أخرى لهم : وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن .

وقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ عرض القرآن بعد تمامه على جبريل عرضتين ، ثم قرأه على أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بعد ذلك على الترتيب الذي نعرفه (١) .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان يعرض ـ أي

---

(١) البرهان ١ / ٢٣٢ .

جبريـل - على النبي ﷺ القرآن كل عـام مرة ، فعرض عليـه مرتين في العام الذي قُبض فيه . أخرجه البخاري .

نزول القرآن على سبعة أحرف :

القرآن الكريم هـو كـلام الله القـديم ، نـزل بـه الروح الأمين ، على قلب محمد - ﷺ - ليكون من المنذرين ، بلسـان عربي مبين . ولما كان محمـد - ﷺ - من قريش ، وكانت لغـة قريش هي الفصحىٰ التي سـادت وعمّت في الجـاهليـة ، فمن البديهي أن ينزل القرآن بلغتها قال سبحانه : ﴿ فإنما يسرنـاه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ (الدخان : ٥٨) .

وظل المسلمون في مكة المكرمـة ثلاث عشرة سنـة يقرؤون القرآن علىٰ حرف واحـد بلغـة قريش من غير عنـاء ، لأن معظمهم كان ينتمي إلى قريش أو مَنْ جـاورهـا . لكنّ الأمر اختلف بعد الهجرة إلى المدينـة المنورة ، فقـد دخل في الإسلام أبناء القبائل الأخرىٰ ، وبدأت بوادر المشقة تظهر على الألسنـة التي اختلفت لهجاتها مع لهجـة القرآن ، ثم ازدادت المشقـة بعـد فتح مكـة وإقبـال الـوفـود من شتىٰ أنحـاء الجـزيرة العربيـة ،

ولا سيما الذين كانوا في الأطراف ، فإنهم كانوا بعيدين عن لهجة قريش . فأشفق الرسول - ﷺ - على أمته الأُمّية ، لما تلاقيه من صعوبة في تعلّم القرآن ، وطلب من ربه التخفيف . فاستجاب الله لنبيه ، وجاء الترخيص بالأحرف السبعة ، فتلقت كل قبيلة القرآن من رسول الله - ﷺ - بلهجتها ، فسَهُل عليها تلاوته وفهمه .

ومن الجدير بالذكر أن الأحرف القرآنية كانت مأخوذة من معظم لغات القبائل العربية ، غير أنها منتقاة من فصيحها وجيدها ، ولقريش في ذلك النصيب الأوفر . وذلك ليتاح للعرب جميعًا أن يقرؤوا كتاب ربهم ، ويتدبروا معانيه ، ثم يحملوا الرسالة إلىٰ سائر الأمم باستيعاب وتطبيق [1] .

ولما كثر الناس ، وامتزج بعضهم ببعض ، ومَرَنَت الألسنة ، وتدربت على قراءة القرآن في اللغة والقراءات التي ارتضاها الله لكتابه ، انتهىٰ ذلك الترخيص بالعرضة الأخيرة ، حيث استقر القرآن علىٰ صيغته النهائية بنصه وعدد آياته

---

(١) مقدمة تفسير الطبري ١ / ٤٢ ، مجلة كلية القرآن الكريم ص ٩٣ - ٩٥ .

وترتيبه وأوجهه المنزلة ثم عُمم ذلك بشكل مؤكد وجازم في زمن عثمان - رضي الله عنه - كما سنرى [١] .

جمع القرآن الكريم في زمن أبي بكر رضي الله عنه :

بدأت كتابة القرآن الكريم في وقت مبكرا جدًا ؛ فقد واكبت نزوله في مكة المكرمة ، واستمرت إلى أن التحق النبي - ﷺ - بالرفيق الأعلى كما سلف ، لكن المشهور أن القرآن الكريم لم يكن جُمع في زمن رسول الله - ﷺ - على شكل مصحف كامل بين دفتين عند شخص واحد ، غير أنه كان مكتوبًا عند جميعهم ، وما ينقص من شخص يكمله ما عند الآخرين . هذا من حيث الكتابة ، أما من حيث الحفظ في الصدور ، فقد استوفاه كثير منهم . ومما يدل على ذلك أنه قتل من الحفظة في غزوة بئر معونة قرابة سبعين [٢]

وفي خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - استحر القتل بالقراء في الحروب ، ولا سيا في معركة اليامة . فخشي أبو بكر

---

(١) مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٢٣ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٣٩٥ - ٣٩٧ .

(٢) الإتقان ١ / ٧٢ ، المعجزة الكبرى القرآن ص ٢٨ ، الفوائد ص ٢٦ - ٢٧ .

وعمر ـ رضي الله عنهما ـ أن يستحر القتل فيهم أيضًا في معارك آتية . لأنهم كانوا يتهافتون على القتال طلبًا للشهادة ، فعملا على جمع القرآن الكريم في كتاب واحد بين دفتين ، خشية أن يضيع شيء منه بذهاب حفظته ، وليكون ما يجمع مرجعًا رسميًا للناس . فانتدبا لذلك كاتب الوحي القوي الأمين زيد ابن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وكان ممن حضر قراءة النبي ـ ﷺ ـ للقرآن على الصحابة في السنة التي كانت فيها وفاته ، بعد العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام ـ ولنستمع إليه يحدثنا عن ذلك فيقول : « أرسل إليّ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر ـ رضي الله عنه ـ جالس عنده . فقال أبو بكر : إن عمر جاءني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن ، فيذهب من القرآن كثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال : قلت لعمر : كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ ؟! فقال عمر : هو والله خير . فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال

زيد : فقال لي أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - ﷺ - فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قال : قلت : كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله - ﷺ - ؟! فقال أبو بكر : هو والله خير . قال : فلم يزل أبو بكر يراجعني - وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني - حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر . قال : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعُسُب واللخاف [١] وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خُزيمة ، لم أجدها مع غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ خاتمة براءة . قال : فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر » - أخرجه البخاري والترمذي .

---

(١) الرقاع : جمع رقعة ، والعُسُب : جمع عسيب ، وهو سعف النخل ، واللخاف : جمع لَخْفة ، وهي حجارة بيض رقاق كانوا يكتبون عليها . انظر جامع الأصول لابن الأثير ٢ / ٥٠٣ .

وجَمْعُ زيد - رضي الله عنه - لم يكن في الحقيقة إلا إعادة لمكتوب كان قد كتب في عهد النبي - ﷺ - ولكنه لم يكن مجموعًا في مصحف واحد . وكان منهجه في الجمع على الطريقة التالية :

١ - أن لا يقبل شيئًا من أحد حتى يشهد شاهدان ، مبالغة في الحيطة وتحريًا في الدقة ، مع أنه هو كان من حفاظ القرآن الكريم . وإنما كان يطلب التثبت عمن تلقاها من النبي - ﷺ - مباشرة من غير وساطة أحد .

أما قوله عن خاتمة براءة : « لم أجدها مع غيره » فمعناه أنه لم يجدها مكتوبة عند أحد غير خزيمة . فالذي انفرد به خزيمة عمن تتبع الآية عندهم إنما هو كتابتها لا حفظها . لأنه كان كما قال أبو شامة : « لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي - ﷺ - لامن مجرد الحفظ » . إذا الآية قد ثبتت بأخبار كثيرة عمن حفظوا في صدورهم ، وهو واحد منهم . وليست الكتابة شرطًا في التواتر .

٢ - التقاء المحفوظ بالمكتوب ، فكان لا يكتفي بأحدهما

دون الآخر ، ليتم التوثيق بشقيه . وهذا له قيمة كبرى [١] .

ومما ينبغي الانتباه إليه أن عمل زيد هذا لم يكن انفراديًّا ، بكل كان جماعيًّا ، وذلك أنه أعلن خطته في جمع الصحابة - رضي الله عنهم - ليأتيه الحافظون والكاتبون بما عندهم . وبعد أن كتب القرآن كله تلقاه الصحابة - رضي الله عنهم - فقرؤوه وتدارسوه ، ثم أقرؤوه [٢] .

توثيق القرآن وتعميمه في زمن عثمان رضي الله عنه :

اتسعت الفتوح في عهد عثمان - رضي الله عنه - وكثر الداخلون في دين الله ، فتعددت القراءات وكثرت اللهجات في البلاد المفتوحة . وكل قارئ يعزو قراءته إلى قارئ من الصحابة ، فثار الجدل واحتدم النزاع ، واتسعت الفروق بين القراءات . فخشي عثمان - رضي الله عنه - أن تطغى اللهجات العربية الأخرى على ما نزل به القرآن وأقر في العرضة

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٩ / ١٢ ، الإتقان ١ / ٥٨ .

(٢) المصاحف ص ٥ - ١٠ وانظر مقدمة الطبري ١ / ٦٢ والمقنع لأبي عمرو الداني ص ٣ - ٤

الأخيرة ، كما خشي أن يدخل في القرآن ما ليس منه فيما بعد إن استمر الأمر على هذه الشاكلة ، فاستنسخ من المصحف الذي جُمع في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ مصاحف أرسلها إلى الآفاق الإسلامية [١] .

عن محمد بن شهاب الزهري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قدم على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينيّة وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفةَ ـ رضي الله عنه ـ اختلافُهم في القراءة . فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك . فأرسلت بها إليه . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا

---

(١) فتح الباري ٩ / ١٢ ، الفوائد في مشكل الآثار ص ٢٦ .

اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن - وللبخاري من رواية شعيب بن أبي حمزة : في عربية من عربية القرآن - فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أن يحرق . أخرجه البخاري والترمذي .

لِمَ منع عثمان سائر الصحف ؟

تفرق الصحابة - رضي الله عنهم - في الأمصار وانتشروا في الديار مجاهدين ومُعلّمين بعد موت النبي - ﷺ - وكلٌّ منهم يحفظ ما سمعه من النبي - ﷺ - في صدره أو يكتبه في صُحُفِه ، ويعلمه أهل البلاد المفتوحة . فكان هذا سببًا في انتشار الأحرف القرآنية المنزلة قبل العرضة الأخيرة إذ لم يكن جميع الصحابة - رضي الله عنهم - على علم بذلك . وهم متمسكون بما سمعوه من رسول الله - ﷺ - فتناقل الرواة عنهم

هذه القراءات من غير أن يعلموا بالنسخ [١] .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال عمر ـ رضي الله عنه ـ على المنبر : أُبيٌّ أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أُبيّ ، وأُبي يقول : أخذت من في رسول الله ـ ﷺ ـ فلا أتركه لشيء . وقال الله : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾(البقرة : ١٠٦) . أخرجه البخاري .

ولحن أبي هو لغته وقراءته وطريقته التي يقرأ بها القرآن [٢] . قال الحافظ في الفتح : وكان أبي لا يرجع عن حفظه من القرآن ، لأنه تلقاه من رسول الله ـ ﷺ ـ في أول الأمر . وقد استدل عمر ـ رضي الله عنه ـ بالآية على وقوع النسخ .

أضف إلى ذلك حدوث قراءات لهجية من قبل من لم تستطع ألسنتهم أن تجاري القراءة التي تلقوها في مخارج الحروف ونطق الكلمات ، فتلقفها بعض الناس وكتبوها

---

(١) الإتقان ٢ / ٢٢ ، فتح الباري ١٢ /١٤٣ .

(٢) جامع الأصول ٢ / ٤٨٤ ، والآية من سورة البقرة رقم ١٠٧ .

وتناقلوها على أنها قراءات وهكذا تعددت الروايات ، وأصبحت القراءات معرضًا ضخمًا لِلَهجات العرب المختلفة .

وقد أجمع المسلمون منذ الصدر الأول على أنه لا يُقرأ بحرف ، ولا يُحكم بقرآنيته ، ولا يُكتب في المصحف حتى يتحقق في نقله التواتر . ولذلك لم يثبت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في المصحف الذي كتب أيام أبي بكر ثم في زمن عثمان إلا ما أجمع جمهورهم على أنه ثبت في العرضة الأخيرة التي قرأ بها رسول الله ﷺ على جبريل ، ثم أقرأ بها أصحابه . وأخرجوا ما عدا ذلك [1] .

ولما أطلت الفتنة برأسها قام عثمان باستنساخ عدة نسخ مما جُمع وسُجّل في زمن أبي بكر مع ضبط كتابتها بعد تحري ما ثبت في العرضة الأخيرة ، ثم أرسلها إلى الآفاق ليجمع الناس على مصحف واحد ، وعَزَم على كل من عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يمزقه ويغسل حبره ، أو

---

(١) فتح الباري ١٢ / ١٤٣ ، النشر ١ / ٣١ ، مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٢٣ ، الإتقان١ ـ ١٣٨ .

يحرقه . فاستوثقت الأمة له بالطاعة .

ومن الجدير بالذكر أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ ما فعل شيئًا إلا بمشورة الصحابة واتفاقهم . وكل مصحف من المصاحف التي أمر بنسخها ، وإرسالها للأقاليم كتبه جماعة ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم [١] .

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن الحروف السبعة لا تتضمن تناقضًا في المعنى أو تضادًا . بل إن معناها تاره يكون متفقًا وتاره يكون متقاربًا ، تتعاضد فيه المعاني ولا تتعارض [٢] . ويدل على ذلك ما يلي :

روى البخاري عن محمد بن شهاب الزهري أنه قال : اختلفوا يومئذ في ﴿ التابوت ﴾ فقال زيد (التابوه) وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص (التابوت) ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش .

وروى الحسين بن فارس بسنده عن هانئ قال : كنت

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٢٩٥ و١٥ / ٢٥٣ .

(٢) النشر ١ / ٤٩ و٥٢ ، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٣٩١ و٤٠١ .

عند عثمان - رضي الله عنه - وهم يعرضون عليه المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها : (لم يتسنّ) و (فأمهل الكافرين) و (لاتبديل للخلق) . قال : فدعا بالدواة ، فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿ لخلق الله ﴾ ومحا (فأمهل) وكتب ﴿ فمهّل ﴾ ، وكتب ﴿ لم يتَسَنّهْ ﴾ ألحق فيها هاء [١] .

وهكذا كان عمل عثمان امتدادًا لعمل أبي بكر ، غير أن عثمان جمع شمل المسلمين ووحد كلمتهم بحفظ كتاب ربهم سالمًا من التحريف والتبديل .

امتناع تحريف القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم المنقول بالتواتر من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف وحدها كما سلف ، بل إنما كان ولا يزال الاعتماد على حفظه في قلوب أهل التواتر . أضف إلى ذلك أن طريقة أدائه لا تتأتى إلا عن طريق التلقين والرواية . ومن فضل الله على

---

(١) الصاحبي ص ١٣ .

الأمـة أن ييسّر حفـظ كتـابـه لمن أراده بـإخـلاص ، ولا سيما الصغار ، فإنهم يحفظونه في أقصر مدة . قال سبحانه : ﴿ ولقـد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (سورة القمر) .

إن القرآن الكريم محفـوظ في قلـوب ألـوف مـؤلفـة من المسلمين صغارًا وكبارًا رجالاً ونساءً ، لا يحصي عددهم إلا الله . ولهذا إذا ظهر مصحف يخالف حفـظ النـاس تنبهوا لـه . وقـد يكون في بعض المصاحف أخطـاء مطبعيـة فلا يُلتفت إليهـا . بل لو عُـدمت المصـاحف أصلاً لم يقـدح ذلـك في نقـل القرآن الكريم . لأن حفظـه غيبًـا فرض كفـايـة على الأمـة . بل إن تعليه وتعليم قراءاته وتعلُّمها فرض كفايـة أيضًـا ، لئلا ينقطع التواتر . فكيف يتطرق إليه التحريف ؟! [١] .

كم حاول أعداء الإسلام متظاهرين متعاضـدين أن يطبعوا طبعات مزيفة من المصاحف ، أدخلوا فيها عبارات ليست من القرآن ، وأنقصـوا منـه عبـارات ، وتـلاعبـوا بعبـارات .. لكن سرعـان مـا انكشف الأمر ، ووقف النـاس علىٰ أمـاكن الزيف

---

(١) النجوم الطوالع ص ٢٢ .

وأعلن التحذير ، فذهبت جهودهم المبيتة أدراج الرياح ، وصار أمرهم كما قال الأعشىٰ في لاميته المشهورة :

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنَها
فلم يَضِرها وأوهىٰ قرنَه الوعل

وصفوة القول في ذلك :

إن الرسول ـ ﷺ ـ لم ينتقل إلى جوار ربه إلا وكان القرآن كله مكتوبًا ومحفوظًا لدىٰ الكثيرين من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فأدّوه إلى من بعدهم من التابعين حفظًا وكتابة بشكل متواتر حتى في طريقة قراءته ورسم حروفه ، ثم تواتر نقله على هذه الشاكلة حفظًا وكتابة من جيل إلى جيل في مشارق الأرض ومغاربها حتى وصل إلينا كاملاً سالمًا مصونًا من أي تحريف أو تبديل ، بحيث يحصل العلم القطعي لدي العامة والخاصة من جميع الأمم أن هذا القرآن هو الذي ظهر للناس من فم محمد ـ ﷺ ـ وأخبر أن الله أوحىٰ به إليه .

وليس ثمة شيء من الأسفار المقدسة لدىٰ اليهود والنصارىٰ

يمكن أن يقارن أدنى مقارنة بالقرآن أو بالسنة التي تلقتها الأمة من رسول الله - ﷺ - حتى السيرة النبوية . وذلك لانعدام السند عندهم وعدم المعرفة التامة بكاتبي الأسفار وتاريخ التدوين كما سنرى .

* * *

انسجام معاني القرآن وتناسق مبانيه

القرآن كتاب أحكمت آياته ، وأتقنت فصوله ، واتفقت مبانيه ، وائتلفت معانيه ، ليس فيه اختلاف ولا تناقض جمع الله به الشمل ورسم منهاج الحياة الرشيدة التي يصلح فيها أمر الدين والدنيا معًا . ما من فضيلة إلا دعا إليها وحضّ عليها ، وما من رذيلة إلا حذر منها ونهى عن قربها . وهو معجز بلفظه ومعناه .

أما الإعجاز اللغوي فهو كامن في كلماته وتراكيبه وأسلوبه وفصاحته ؛ تحدى العرب الفصحاء الذين هم غاية في البيان فعجزوا عن معارضته والإتيان بسورة من مثله .

وأما إعجازه المعنوي فوجوهه كثيرة . لأن القرآن الكريم اشتمل على أنواع كثيرة من العلوم الكلية والجزئية ، كما نبه على طرق الحجج العقلية بشكل لم يعهد مثله فيما قبله من الكتب .. والعلوم نوعان ؛ دينية محضة وغير ذلك .

ـ فالدينية المحضة أتى منها في علم العقيدة بمعرفة الله

وأسمائه وصفاته ، وأخبر عن الملائكة والكتب والرسل والقضاء والقدر ، كما أخبر عن المعاد والحساب والجنة والنار وغير ذلك . ليس في غيره من الكتب السماوية المتقدمة من خبر عن ذلك إلا زاده بيانًا وتفصيلاً ، فأتىٰ به على أكمل وجه ، حتى إنه أخبر عن أشياء ليس لها وجود في غيره . جادل المكذبين والمعاندين بأنواع من الحجج والبراهين والدلائل اليقينية والأقيسة العقلية والأمثلة المضروبة . وأتى في علم الأعمال والتكاليف بما لم يأت به غيره من تكاليف تتعلق بالظاهر والباطن .

- والعلوم غير الدينية المحضة نوعان : تشريعية وتجريبية .

ففي العلوم التشريعية أتىٰ بتشريع عادل كامل شامل صالح لكل زمان ومكان ، جمع بين المثالية والواقعية من غير أن تطغىٰ واحدة منها على الأخرىٰ ، وخاطب الظاهر والباطن .

وفي العلوم التجريبية بيّن أن الله سخّر الكون للإنسان وأمره بالنظر في الأرض والسماء لاستنتاج العبر والفوائد .

ويكفينا في ذلك شهادة الطبيب والمفكر الفرنسي موريس بوكاي حيث قال [١] : « إن القرآن يذكر أنواعًا كثيرة من الظاهرات الطبيعية . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعتُ أن أحقق قائمة ، أدركتُ بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي علىٰ أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث . أما بالنسبة للعهد القديم ، ففي سفر التكوين مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث » . وقال أيضًا [٢] : « إن القرآن لا يحتوي علىٰ آية دعوىٰ علمية غير مقبولة . وهذه الملاحظة تدحض فرض الذين يرَوْن في محمد مؤلفًا للقرآن . كيف يمكن لإنسان كان أميًّا ، ثم أصبح بعد ذلك سيد الأدب العربي علىٰ الإطلاق أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي ، لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يُكَوِّنها ؟! وذلك بدون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة ! » .

---

(١) انظر كتابه : دراسة ص ١٣ ـ ١٤ .
(٢) دراسة لموريس ص ١٥٠ .

ادعاء أهل الكتاب ومناقشته :

الانطباع السائد لدى اليهود والنصارى أن محمدًا - ﷺ - كتب أو استكتب القرآن محاكيًا التوراة والإنجيل ، فهو لم يفعل أكثر من النقل عنهما . ويستدلون على ذلك بإخباره عن حوادث وقصص ماضية مذكورة في الكتاب المقدس بعهديه .

وإخباره - ﷺ - عن الأمم الهالكة والقرون الغابرة لا يعدو أحد احتمالات ثلاثة :

١ - إما أن يكون كاذبًا فيما أخبر به ، وقد نسجه من خياله .

٢ - وإما أن يكون تعلمه من بشر وصل إليه عن طريق نبي من الأنبياء . وهذا المعلم إما أن يكون من قومه أو من غيرهم من أهل الكتاب .

٣ - وإما أن يكون وحيًا أوحاه الله إليه . فهو نبي مرسل .

مناقشة الاحتمال الأول :

مما يستدل به على صدق محمد - ﷺ - فيما أخبر به من حوادث وقصص ماضية بما يلي :

ا - تصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه ؛ فإخباره بمثل ما أخبرت الأنبياء به من قبل يدل على أنه لم ينسجه من خياله . كما يدل على صدق الأنبياء السابقين ، لأنه يمتنع في العادة الاتفاق على ذلك إلا بتواطؤ . والتواطؤ مستحيل لبعد الزمان والمكان .

ب - أخبر الأنبياء السابقون أن المتنبئ الكذاب لا يؤيد ، ولا يتم أمره ، بل مصيره القتل ، كما في سفر التثنية ١٨ / ٢٠ ، وقد ادعى النبوة أشخاص فكان مصيرهم القتل كمسيلمة الحنفي وطليحة الأسدي وبابا الرومي . أما محمد - ﷺ - فقد أيده الله ونصره نصرًا عزيزًا على المشركين وسائر الكفرة ، ثم أظهر أمته من بعده على سائر الأمم (١) .

---

(١) الجواب الصحيح ٤ / ٢٢ و٤١ و٥٤ ،١ / ١٤١ .

مناقشة الاحتمال الثاني :

ومما يستدل به علىٰ أنه لم يتعلمه من بشر ما يلي :

أ ـ من الثابت تاريخيًّا ، بل قد نقل بالتواتر أن محمدًا ـ ﷺ ـ كان أميًّا لا يعرف الكتابة ولا القراءة باللغة العربية فضلاً عن أن يحسن لغة غيرها ، أو يشتغل بمدارسة العلماء . قال سبحانه : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون** ﴾ (العنكبوت : ٤٨) أي لارتاب المبطلون من أهل الكتاب فقالوا : إن النبي الذي نجده في كتبنا أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولارتاب أيضًا مشركو العرب فقالوا : لعله تعلمه من غيره وكتبه بيده . بل لو كان غير أمي لكذبه قومه الذين نشأ بينهم ، وفي مقدمتهم أصحابه الذين آمنوا به .

ومن الجدير بالذكر أن العهد القديم ـ أي التوراة وسائر أسفار الأنبياء ـ لم يكن ترجم إلى اللغة العربية في ذلك الوقت . وأول ترجمة إلى العربية جرت في أوائل العصر العباسي أو عند منصرم العصر الأموي . وليس ثمة قرائن تدل

على وجود ترجمة عربية سابقة لظهور الإسلام كما ذكرت الموسوعة البريطانية [١] .

ب ـ قد علم بالتواتر أن أهل مكة وغيرهم من مشركي العرب لم يكونوا يعرفون هذه العلوم والقصص ولا أمثالها ؛ فقد كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الأمم وعلوم الشرائع والفلسفة وسائر العلوم العقلية . قَلَّ فيهم من يحسن القراءة والكتابة قال سبحانه : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ (الجمعة : ٢) أي بعث في الأميين رسولا أميًّا مثلهم يتلو عليهم آياته ـ حتى إن مكة لم يكن فيها مدرسة ولا كتاب مدون . فما جاء به محمد ـ ﷺ ـ من الدين الكامل والتشريع العادل الشامل وغير ذلك من آيات الله والحكمة والقصص وبيان ما في الصحف الأولىٰ لا يمكن أن يكون مكتسبًا من غيره ، ولا مستنبطًا من فكره ، بل إنما هو محض وحي من رب

(١) ٢ / ٨٨٩ انظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٢٦ .

العـالمين . قـال سبحـانـه : ﴿ تلـك من أنبـاء الغيب نوحيهـا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومـك من قبل هـذا فـاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (هود : ٤٩) .

جـ - إن أخبـار محـمـد - ﷺ - منـذ ولـد إلى أن بعثـه الله رسولاً ثم توفاه مستفيضة متواترة ، وقـد علم بـالتواتر أنـه ولـد في مكة ونشأ بها بعد أن كان مسترضعًا في بني سعـد بن بكر . وكانت مكـة من الصغر بحيث يعرف أهلهـا أخبـار بعضهم معرفـة تـامـة . وهم يعلمـون حـق العلم أنـه لم يتعلم من أهـل الكتاب ولا من غيرهم ، ولم يجتمع بأحد من علماء أهل الكتاب ممن يعرف اللغة العربية . لأنهم متأكدون من أنه لم يغادر مكة قبـل البعثـة إلا مرتين تحت سمعهم وبصرهم ؛ مرة وهـو صغير يقـارب عمره اثني عشر عـامًـا مـع عمـه أبي طـالب في نفر من قريش ، لم يفـارقـه فيهـا حتى رآه الراهب بحيرا ، فعرفـه من صفاته ، وألح على عمه أن يرده إلى مكة مخافـة أن تعرفـه يهود كما عرفه ، فرده عمه . وأخرى وهو شـاب مع ركب من قريش في تجـارة لم يفـارقهم فيهـا أيضًـا ، ولا خـلا أو اجتمع بـأحـد دونهم .

ومن حكمة الله أنه لم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ، لا من اليهود ولا من النصارى ، بل كان المشركون في أول الأمر يرسلون إلى البلاد التي فيها علماء من أهل الكتاب ، يسألونهم عن أمر محمد - ﷺ - فيرسل اليهود إليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته .

إن قومه كانوا أشد الناس عداوة له ، وأحرصهم على تكذيبه ، وأكثرهم بحثًا عما يقدحون فيه بنبوته . فلو أنه تعلم من بشر لعلموا بذلك وطعنوا فيه وأظهروه ، فإنهم كانوا أعرف الناس بحاله ، ومع كمال علمهم بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان ، ومع حرصهم على القدح فيه يمتنع أن لا يظهر ذلك منهم ، ولو ظهر لتناقلته الناس حتى يصل إلينا ؛ لأنه من أعظم ما تتوفر الدواعي على نقله وإشاعته .

د - لو أنه تعلم هذه القصص والعلوم من أهل الكتاب مع عداوتهم له ، وظهوره عليهم فيما بعد لأخبروا بذلك وأظهروه ، ولو فعلوا لنقل إلينا وعرفناه .

ولما هاجر النبي - ﷺ - إلى المدينة المنورة كانت العداوة

متأججة بينه وبين اليهود الـذين كانوا يسكنون فيهـا ، فكانوا يسألونـه تعجيزًا عن الغيوب التي لا يعلمهـا إلا نبي - وهي غير المسائل التي كانوا يرسلون بها إليـه وهو في مكـة - فيتلو عليهم ما يوحيه إليه ربه ، فـآمنت طـائفـة منهم وكفرت طـائفـة . والطـائفتـان ليس فيهم من يقول : إن هـذا تعلمـه منـا أو من نظرائنـا ، أو قرأه في كتبنـا ، مـع أنـه لـو تعلمـه منهم لكانـوا أساتذته ، ولامتنع أن يصـدقوه ظـاهرًا وبـاطنًـا ، ولاسيا وهو يفعل فيهم ما يفعل نتيجة لغـدرهم وعـدم وفـائهم . ومن أسلم منهم ، فإنه كان يقبل على المقاطعة والحرمان .

هـ - لو أنه تعلم من غيره لكان لابد أن يعرفـه ولو خواص النـاس ، وبـالتـالي لا بـد أن يفشو ويشيـع حتى لـو تـواصـوا بكتمـــانـــه عن طريـق الترغيب والترهيب ، ولكان خـــواص أصحابه يعلمون في الباطن أنه كذاب وإن صدقوه ظاهرًا ، مع أن الوقائع تثبت أن تصـديقهم الظـاهر والبـاطن لـه بلغ حـد العجب لـدى المشركين ، وكان أخص أصحـابـه وأعلمهم بحـالـه أعظمهم محبـة لـه وفـداء . مـع أنهم لاقـوا بـاتبـاعـه الحرمـان والأذى . ثم إن الصحابة - رضي الله عنهم - وقع بينهم اختلاف

بعد وفاة رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شيئًا من هذا القبيل البتة .

و ـ إن محمدًا ـ ﷺ ـ أُنزل عليه في القرآن من القصص والأخبار ما لا يوجد عند أهل الكتاب كقصة هود وصالح وشعيب وما جرى لهم مع أقوامهم عاد وثمود وغيرهما . وقد أنكر بعض المستشرقين اعتسافًا وجود هذه الأقوام والكوارث التي أصابتهم . غير أنه تبين أن عادًا وثمود مذكورتان في تاريخ بطليموس ، وأن اسم عاد مقرون باسم إرم في كتاب اليونان ، (أدراميت) ويؤيد ذلك تسمية القرآن لها ﴿ .. بعاد * إرم ذات العماد ﴾ (الفجر : ٦ ، ٧) . كما عثر المنقب التشيكي صاحب كتاب (الحجاز الشمالي) على آثار هيكل عند (مدين) منقوش عليه كتابة بالنبطية ، وفيه إشارة إلى قبائل ثمود[(١)].

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم لا يسرد القصة كما جاءت في أسفار أهل الكتاب ، بل يزيد عليها أمورًا يجهلها أهل الكتاب ، ويصحح لهم كثيرًا من الأخطاء .

---

(١) انظر مطلع النور لعباس محمود العقاد ص ٧٤ .

فمما لم يكن يعلمه أهل الكتاب ولم يذكر في كتبهم : قصة ابن نوح وكفره وغرقه بالطوفان ، واضرام النار لإحراق إبراهيم وحفظ الله له ، وإيمان امرأة فرعون وإنجاء جسده بعد موته غرقًا ، وتكليم المسيح ـ عليه السلام ـ للناس في المهد ، وإنزال المائدة على الحواريين وغير ذلك مما لا يعرفه أهل الكتاب .

ومما صححه لهم من معلومات مغلوطة : أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل في غياب موسى هو السامري ، وليس هاورن ، وأن هارون نصحهم ، لكنهم أصروا على فعلتهم . ومن ذلك نفي رؤية موسىٰ لذات الله جل جلاله وتقرير عدم إمكان الرؤية في الدنيا مع أن أسفارهم تنص على أن موسىٰ وهارون وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا الله . ومن ذلك أيضًا نفي القتل أو الصلب عن المسيح ـ عليه السلام ـ وتقرير أن الذي صلب إنما هو من شبه لهم .

ولو أن محمدًا ـ ﷺ ـ تعلم من أهل الكتاب لما زاد هذه الزيادات ، ولما خطأهم في بعض ما ذكروه ، بل كان يوافقهم

فيما قالوا له ويجمل القصة إجمالاً ، حتى لا يفتح على نفسه باب معارضتهم ، إذ لا يليق بالعاقل أن يقدم على فعل يمنعه من مطلوبه ، ويبطل مقصوده [١] .

هذا وقد قام الطبيب والمفكر الفرنسي موريس بوكاي بعمل مقارنة بين الروايات القرآنية وروايات التوراة فيما يختص بهذا الموضوع ، فتبين له أن الآيات القرآنية لا صلة لها البتة بالعهد القديم ، ولا علاقة لها إطلاقا بتلك الأوهام التي يبرزها المعلقون على التوراة كالأب كوروابيه [٢] .

وصفوة القول : إن من يتعلم من غيره إما أن يأخذه تلقينًا وحفظًا ، أو من كتابه ، ومحمد - ﷺ - لم يتعلم شيئًا من أحد بشهادة قومه المعادين له : لأن قومه لا يعلمون تلك العلوم والأخبار التي ذكرها ، وهو لم يعاشر إلا قومه ، والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه ، وهو

---

(١) انظر هذه المناقشات في : الجواب الصحيح ١ / ٤١ و١٤١ و٣ / ٢٤ - ٢٥ و٢٩ - ٣٠ و٢٦٢ و٤ / ٢٢ - ٢٣ و٢٥ و٣٤ و٤١ و٥٤ - ٥٥ و٥٧ ، إظهار الحق٢ / ٥١ - ٥٢ ، الكشاف ٢ / ٤٩٨ .

(٢) انظر ص ٤٠ - ٥٤ و٢٤٤ - ٢٨٦ .

أمي لا يقرأ ولا يكتب كما سلف ، فلم يبق إلا أن يكون علمه عن وحي أوحاه الله إليه . ومن ثم تكون حجة صدقه ونبوته قائمة على كل من يبلغه أمره .

* * *

الكتاب المقدس
لدىٰ أهل الكتاب
The Bible

تعريفه :

يعتقد النصارىٰ أن كتابهم المقدس هو مجموعة الأسفار الإلهية التي كتبت بإلهام الروح القدس خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى آخر القرن الأول بعده .

أقسامه :

ويقسم إلى قسمين كبيرين رئيسيين هما : .

ا ـ العهد القديم . ويطلقون عليه مجازًا التوراة .

ب ـ العهد الجديد . ويطلقون عليه مجازًا الإنجيل .

وأساس هذا التقسيم بعثة المسيح ـ عليه السلام ـ فما كان من الأسفار قبلها ، فهو العهد القديم ، وما كان بعدها فهو

العهد الجديد .

ا ـ العهد القديم

تعريفه :

يزعم النصارى أن هذا القسم وصل إليهم بوساطة الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح ـ عليه السلام ـ . ويعرفون منه أخبار العالم في عصوره القديمة وشرائع اليهود الدينية والاجتماعية ، ويقتبسون منه الأدعية المتوارثة والمواعظ والشعر والحكمة وغير ذلك . كما يعرفون منه البشارات بالأنبياء اللاحقين .

أسفاره :

اختلف أهل الكتاب في أسفار العهد القديم ؛ قبولاً وردًّا في بعضها ، وتقسيمًا وترتيبًا وتسمية في بعض آخر :

١ ـ فاليهود العبرانيون اعتمدوا أربعة وعشرين سفرًا ، اعتقدوا أنها مقدسة ـ أي موحى بها ـ . وهم يقسمونها من حيث الأسلوب والصفات الخارجية إلى ثلاثة أقسام :

ا ـ أسفـار الشريعـة (Pentateuch) أو كتب مـوسى الخمسة . وتسمى التوراة .

ب ـ أسفار الأنبياء .

جـ ـ أسفـار الكتبة أو الكتب . وتتـألف من القصـائـد الدينية وكتب الحكمة .

٢ ـ واليهـود السـامريـون لهم تـوراة خـاصـة بهم ، تعرف بالتوراة السامريـة . وهي لا تحتوي إلا على الأسفـار الخمسـة . لأنهم يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعـد مـوسى ويـوشع ، ويتهمون العبرانيين بالوضع والتحريف .

وبعض السـامريين يضيف إليهـا سفري يوشع والقضـاة . ويرون في هذه السبعة كتابهم المقدس .

٣ ـ والنصـارى البروتستـانت اعتمـدوا الأسفـار المعترف بهـا لـدى اليهـود ، غير أنهم يختلفـون معهم في التقسيم والترتيب . فاليهود جعلوها أربعة وعشرين سفرًا . والبروتستانت وزعوهـا بحسب الأسماء ، فأصبحت تسعة وثلاثين سفرًا .

٤ ـ أما الكاثوليك والأرثوذكس ، فقد أضافوا إليها سبعة أخرىٰ ، فغدت ستة وأربعين سفرًا . وهم يختلفون مع البروتستانت في تقسيم وترتيب وتسمية بعض الأسفار . وثمة سفر آخر منسوب إلى عزرا لا يعترف به الكاثوليك والبروتستانت ، ويراه الأرثوذكس واجب التسليم .

ب ـ العهد الجديد

تعريفه :

يزعم النصارىٰ أن هذا القسم كتب بإلهام الروح القدس الذي حلَّ في التلاميذ بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ كما سيأتي . وقد استقر رأيهم في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي علىٰ اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من الأسفار التي اختلفوا فيها . وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد) . ويعتقدون أن الوحي إنما هو في معانيها دون ألفاظها .

أقسامه :

يقسم العهد الجديد من حيث الترتيب التقليدي لأسفاره إلى خمسة أقسام هي :

١ ـ مجموعة الأناجيل : وهي أهم المجموعات في نظرهم . لأنها تروي سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ وتعاليمه .

والأناجيل التي يعترفون بها أربعة وهي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

٢ ـ سفر الأعمال : وهو منسوب إلى لوقا .

٣ ـ مجموعة رسائل بولس : وعددها أربع عشرة رسالة .

٤ ـ مجموعة الرسائل الكاثوليكية : وعددها سبع .

٥ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي ، أو السفر النبوي .

وسيقتصر بحثنا في هذه العجالة على التوراة والإنجيل لأنهما الأساسيان في العهدين .

* * *

لمحة تاريخية عن التوراة والأدوار التي مرت بها

لم يتكفل الله سبحانه بحفظ الكتب السماوية المتقدمة كما تكفل بحفظ القرآن الكريم . بل وَكّلَ حفظ كل كتاب إلى علماء الأمة التي أنزله عليها . ولذلك كانت تلك الكتب عُرضة للتحريف والضياع ، ولاسيما إذا مرت تلك الأمة بنكبات واضطهادات ، لوحقت فيها العلماء فقُتلت ، وتُتبعت الكتب فأتلفت . وهذا ما حدث للكتابين اللذين أنزلهما الله على بني إسرائيل ، ألا وهما التوراة والإنجيل . وسنبحث الآن المراحل التاريخية التي مرت بها التوراة كما يذكرها العهد القديم [١] .

والتوراة كلمة عبرية معناها : التعليم أو الشريعة . كما تأتي أيضًا بمعنى الناموس أو الهدىٰ . وهي في اصطلاح أهل الكتاب : خمسة الأسفار التي تلقاها موسى ـ عليه السلام ـ من

---

(١) النصوص التي ستذكر مأخوذة من الكتاب المقدس الصادر عام ١٩٨٤ م عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ومن التوراة السامرية التي حققها وعلق عليها أحمد محمد حجازي .

الله سبحانه في جبل سيناء بعد خروج اليهود من مصر ، ثم ألحق بها أسفار الأنبياء .

التوراة في عهد موسى ويوشع :

أمر الله سبحانه موسىٰ - ﷺ - أن يصعد إلى الجبل ليعطيه لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليم بني إسرائيل - سفر الخروج ٢٤ / ١٢ .

وأمره أيضًا أن يأمر بني إسرائيل فيصنعوا تابوتًا من خشب السُّنْط ، بين لهم أوصافه . ليضع فيه موسىٰ - عليه السلام - الشهادة التي سيعطيه الله إياها - خروج ٢٥ / ١٠ - ٢١ -.

كما أمره أن يقرب أخاه هارون - عليه السلام - وبنيه من بين بني إسرئيل ليكونوا كهنة لله . وأمره أن يصنع لهم ثيابًا خاصة مقدسة وصفها له - خروج ٢٨ / ١ - ٢ .

نزل موسىٰ من الجبل ، ولوحا الشهادة ، المكتوب عليهما كلمات العهد - أي الوصايا العشر - في يده - خروج ٣٤ / ٢٩ - .

وفعل موسىٰ كل ما أمره الرب به ـ أخذ الشهادة وجعلها في التابوت ـ خروج ٤٠ / ١٦ و٢١ ـ وكتب موسى هذه التوراة ، وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون شاهدًا عليكم . وأمرهم بإخراجها كل سبع سنين في عيد المظال لتلاوتها على بني إسرائيل بعد أن يجتمع رجالهم ونساؤهم وأطفالهم ، حتى الغريب الذي في ديارهم ـ سفر التثنية ٣١ / ٩ ـ ١٣ ، و٢٤ ـ ٢٦ ـ .

وهكذا صان موسىٰ ـ عليه السلام ـ التوراة عن سائر بني إسرائيل ، ولم يبثّها فيهم خوفًا من اختلافهم بعده في تأويلها . الأمر الذي يؤدي إلى انقسامهم . ولم يُبد لهم منها إلا سورة صغيرة أو نصف سورة . وقال الله لموسىٰ : فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد ، وعلّم بني إسرائيل إياه ، ضعه في أفواههم لكي يكون لي هذا النشيد شاهدًا على بني إسرائيل ـ تثنية ٣١ / ١٩ ـ .

وبعد وفاة موسىٰ ـ عليه السلام ـ خلفه يوشع بن نون في قيادة الشعب ، فاستولىٰ على فلسطين ، وقسمها بين الأسباط

ماعدا سبط لاوي الذي اختص بالخدمة الدينية ، واختص منه أبناء هارون بالكهنوت . فلم يفرز لهم يوشع نصيبًا مستقلاً من الأرض ، بل أعطاهم بعض المدن من نصيب كل سبط ليسكنوا فيها ، ويقوموا بالخدمة الدينية لدى الأسباط جميعًا .

إذًا فالهارونيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة ، ويحفظون أكثرها . ولم تكن كلها محفوظة على ألسنتهم . بل كان كل واحد منهم يحفظ فصلاً منها [١] .

التوراة إبان حكم القضاة :

وبعد موت يوشع ظل الشعب بأسباطه مقيمًا في تلك الجهات بين الشعوب المحيطة بهم وكان ذلك الجيل على شاكلة آبائه . لكن قام من بعده جيل آخر لم يعرف الرب ، بل عمل الشر وعبد آلهة الشعوب الذين حوله . فَسَلَّط الله عليهم أعداءهم فنهبوهم .

---

(١) انظر سفر يشوع ، هداية الحيارى ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤ ، إظهار الحق ١ / ٣٢٣ ، الأجوبة الفاخرة ص ٧٨ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٢ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٨ و٧٥ ، تقديم التوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٥ ، اليهود لزكي شنودة ص ٤٧ و٥٧ ـ ٥٨ .

ولما ضاق الأمر بهم أقام لهم الرب قضاة ، فخلصوهم من يد ناهبيهم ـ سفر القضاة ٢ / ٨ ـ ١٦ ـ .

وفي إحدى المعارك التي جرت بين الفلسطينيين وبني إسرائيل هرب بنو إسرائيل وكانت الضربة عظيمة ، فسقط منهم ثلاثون ألفًا ، وأخذ الفلسطينيون منهم تابوت عهد الرب ـ سفر صموئيل الأول ٤ / ١٠ ـ ١١ .

أما عودة التابوت فعجيبة جدًا كما يقصها السفر : فقد أدخل الفلسطينيون التابوت إلى بيت إلههم (داجون) وأقاموا بقربه ، وفي الصباح وجدوا (داجون) ساقطًا على وجهه أمام التابوت فأقاموه مكانه . وفي صباح اليوم التالي وجدوه كذلك. وقد قطعت رأسه ويداه . ثم أصيب أهل تلك المدينة بالبواسير . وتدافعت مدن الفلسطينيين حفظ التابوت إلى أن قرروا إعادته مع كمية من الذهب بعد سبعة أشهر ـ صموئيل ٥ ، ٦ / ١ ـ ٤ .

لكن ماذا حل بالتوراة التي بداخله ؟ لم يتعرض السفر لذلك . فهل عدم تعرضه ناتج عن أنه من البديهي أن تكون

التوراة عادت مع التابوت سالمة غانمة ، أو أنه من البـديهي أن تكون قد أُخرجت من الصندوق وأُتلفت ؟!

التوراة إبان حكم الملوك :

أمـام خطر الفلسطينيين اجتمع شيوخ بني إسرائيل وطلبـوا من القاضي صموئيل أن يجعل لهم ملكًـا يحـارب . فـاختـار لهم شاؤل بن قيس من سبـط بنيـامين ـ وهو الـذي يسميـه القرآن طالوت ـ فقادهم بشجاعة في الحروب ـ صموئيل ٨ ، ٩ ، ١٠ ـ .

وبعـد مـوت شـاؤل استقر الأمر لـداود ـ عليـه السـلام ـ فحارب الفلسطينيين وفتح أهم مـدنهم أورسـالم أي القـدس ، ثم اتخذها عـاصمـة لـه . كان التـابوت في قريـة يعـاريم على أكمـة منها ـ صموئيل الأول ٧ / ١ ـ ولما فتح داود القدس نقله إليهـا في احتفال بهيج ، حيث أقام له خيمة هنـاك ، وعَيَّنَ اللاويّين لخدمته ـ صموئيل الثاني / ٦ ـ .

وورث سليمان داود ، فبنى الهيكل ، وبنى بداخله المحراب ـ أي قـدس الأقـداس ـ وهيـأ مكانًـا في وسـط البيت ليضع فيـه التـابوت ـ صموئيل الثـاني ٢٩ / ٢٣ ـ ٢٥ ، وسفر الملوك الأول

٢ / ١٢ ، ٦ / ١٤ ـ ٣٥ ، ٧ .

وجمع سليمان شيوخ إسرائيل في العيد لوضع التابوت في المحراب . وفُتح التابوت بعد وضعه في مكانه ، وكانت المفاجأة : ليس في التابوت إلا لوحا الحجر ـ الملوك الأول ٨ / ١ ـ ١١ . وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة ، ولا يُعلم جزمًا متى ضاعت : هل مزقها الفلسطينيون ثم أعادوا التابوت فارغًا ؟ أو أنها فقدت خلال الفترة الطويلة من حكم القضاة حين انحرف الشعب عن أوامر الله وظهر في بني إسرائيل الكفر والارتداد وعبادة الأصنام وقتل الأنبياء [١] .

التوراة إبان الانقسام :

تحسنت أحوال اليهود إبان حكم داود وفي صدر حكم ابنه سليمان ـ كما تقول أسفارهم ـ ثم ارتد سليمان ـ على حدّ زعمهم ـ في آخر عمره بترغيب من أزواجه ، وعبد الأصنام وبنى لها المعابد . وإن الباحث ليتساءل : إذا صار سليمان وثنيًّا

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٣ ، اليهود لزكي شنودة ص ٦١ و٧٩ و٩٠ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٣ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٧٧ ـ ٧٩ .

مرتدًّا ، فما غرضه بالتوراة إن كانت باقية ؟!

وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى مملكتين : جنوبية اسمها يهوذا ، وقد بقي الملك فيها في بيت داود إلى نهايتها . وشمالية اسمها إسرائيل ، وقد تنقل الملك فيها بين بيوتات مختلفة [١] ـ سفر الملوك الأول ١٢ / ٢١ ـ .

وحدث خلال ذلك أحداث عجيبة ؛ فقد عكف معظم بني إسرائيل مع ملوكهم على عبادة الأصنام وترك أحكام التوراة مددًا طويلة وأعصارًا متصلة . وكانت الأنبياء تترى إليهم ، ولكن هيهات ، كفر مستمر وقتل للأنبياء [٢] .

سقوط دولة إسرائيل :

كان الكفر والارتداد في مملكة إسرائيل أشدّ منه في مملكة يهوذا . ولذلك هاجر الكهنة ومن بقي معهم إلى مملكة يهوذا .

وسلط الله أعداء بني إسرائيل عليهم ؛ ففي عام ٧٢١

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٣ ، اليهود لزكي ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، الشرائع الدينية ص ٦٣ ـ ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) اليهود لزكي ص ١٠١ وانظر ص ٦١ وص ٧٩ .

ق . م أغار ملك آشور (شلمناصر) على عاصمة إسرائيل وحاصرها ، ثم دكها دكًّا . ثم جاء خليفته (سرجون) فأسر شعب إسرائيل ، وأجلاهم عن بلادهم ، وفرقهم في مملكته ، وأسكن بدلاً منهم وثنيين من بابلَ وغيرها . ولم يبق من اليهود إلا شرذمة قليلة اختلطت بالوثنيين ، فتزاوجوا وتوالدوا .

فمنذ قيام دولة إسرائيل إلى أن محتْها يد الأسر الأشوري ، وأزالت شعبها من الوجود ، لم يكن للأسباط الذين فيها غرض بالتوراة . وكان وجودها في تلك الدولة أندر من الكبريت الأحمر [١] .

العثور على التوراة قبيل سقوط مملكة يهوذا :

جلس على حكم يهوذا بعد موت سليمان أكثر من عشرين ملكًا كان المرتدون منهم أكثر ممن يعترف بالدين ، حتى غدا

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٤ ، اليهود لزكي ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الشرائع الدينية ص ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٨٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٨٦ وص ٧٩ ـ ٨٠ .

أهــل المملكـــة وثنيين ، ووُضِعت الأصنـــام حتى في البيت المقدس ، وبُنيت لها المذابح . فضاعت التوراة وأصبحت نسيًا منسيًّا[١] ـ سفر الملوك الثاني ٢١ وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٣ .

وآل الأمر إلى الملك يوشيا بن آمون ، وكان فتى طيبًا ، فتاب إلى الله ، واتجه إلى نشر الإيمان ؛ فرمم الهيكل وأزال رسوم الكفر منه ، وبحث عن التوراة ، ولكن دون جدوى . ومضى سبعة عشر عامًا من حكمه دون أن يعثر أحد على نسخة للتوراة أو يسمع شيئًا عنها .

وفي السنة الثامنة عشرة من حكمه ادعى رئيس الكهنة حلقيا أنه وجد سِفْر شريعة الرب بيد موسى ـ أي التوراة ـ في بيت الرب بين الفِضَّة التي جمعت من الشعب . وسلمه للكاتب شوفان ليقرأه على الملك . فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه[٢] ـ الملوك الثاني ٢٢ / ١ ـ ١١ وأخبار الأيام الثاني ٣٤ / ١ ـ ٢٠ .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ، اليهود لزكي ص ١٠١ وص ٦١ وص ٧٩ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢٢٥ ، تنقيح الأبحاث لابن كمونة اليهودي ص ٢٩ ، اليهود لزكي ص ١٠١ وص ١٠٣ ، اليهودية لأحمد ص ٢٥٨ .

ثم إن الملك جمع شعب يهوذا عند الهيكل وقرأ عليهم السفر ، فتعجب الناس والملك من فرط ما ارتكبه اليهود في تاريخهم من مخالفات . ثم أخبرهم عن عزمه على العمل به ـ الملوك الثاني ٢٣ / ١ ـ ٢٣ ، أخبار الأيام الثاني ٣٤ / ٢٩ ـ ٣٣ ، ٣٥ / ١ .

هذا . ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقيا . لأن البيت نُهِب مرتين قبل عهد الملك آخذ ، ثم جُعل بيتًا للأصنام ، وكان سدنة الأصنام يدخلون البيت كل يوم . وفي عهد يوشيا كان الكهنة يدخلون إلى البيت كل يوم مدة سبعة عشر عامًا في أثناء الترميم وبعده . فلا يعقل أن تكون نسخة التوراة في البيت ، ولا يراها أحد خلال تلك المدة الطويلة رغم البحث والتفتيش . ويرى الباحثون أن حلقيا وغيره من الكهنة لما رأوا ميل الملك يوشيا إلى الدين والعمل بالتوراة ، انتهزوا هذه الفرصة للوقوف في وجه ارتداد اليهود والعودة بهم إلى الدين ، فجمعوا هذا النسخة من الروايات اللسانية التي وصلت إليهم دون تحرٍ خلال السبعة عشر عامًا من حكمه ، وأضافوا إليها ما يوافق رغبات اليهود من تاريخ وعقيدة وغير

ذلك . ولما انتهوا من الكتابة ، سلم حلقيا النسخة للكاتب شوفان ليسلمها للملك مدعيًا أنه عثر على التوراة [١] .

واستمر العمل بتلك التوراة ثلاثة عشر عامًا ، وهي ما تبقى من حكم يوشيا ، فما إن مات وخلفه في الحكم ابنه (يهوحاز) حتى ارتدّ وأشاع الكفر . واستمر الكفر والارتداد وقتل الأنبياء ومطاردة المصلحين في عهد إخوته وأولادهم من بعده . وطوال هذه المدة لم يكن للتوراة ذكر ولا رسم ولا أثر ، وإنما كانت في التابوت عند الكاهن الأكبر . وتوالت النكبات على اليهود من قبل الشعوب المحيطة بهم ، حتى إن بختنصر ملك بابل اجتاح مملكة يهوذا عدة مرات ، بسبب ما يلقاه من غدر ونقض للعهود ، إلى أن هاجمها عام ٥٨٨ ق . م فدك أسوار القدس وأحرق المدينة والهيكل بعد أن أخذ منه التابوت ، وتتبع الهارونيين وسائر الكهنة ، فقتلهم على دم واحد . ثم سبى اليهود جميعًا ، فساقهم إلى بابل مقيدين بالسلاسل ، ولم يترك فيها سوى أفقر الفقراء ، وفي هذه

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، اليهودية لأحمد ص ٢٥٩ .

الحادثة انعدمت التوراة وسائر أسفار العهد القديم التي كانت مصنفة . واليهود والنصارى يقرون بذلك [1] ـ الملوك الثاني ٢٤ ، ٢٥ ، وأخبار الأيام الثاني ٣٦ ـ .

التوراة إبان السبي :

سقطت مملكتا اليهود ، فدالت دولتهم ، واندثرت أمتهم ؛ كان أكثرهم مشتتًا بين نهري دجلة والفرات وما حولها ، فذابوا بين تلك الشعوب ، وعبدوا آلهتهم . وكانت قلة منهم مشردة في مصر ، ولم يبق في فلسطين إلا شرذمة قليلة من المعدمين .

واستمر هذا النفي إلى عام ٥٣٨ ق . م حيث قام ملك الفرس كورش ـ كيروس الثاني ـ بالهجوم على الميديين فأخضعهم ، واستولى على آشور وبابل . ومن ثم أصبح له السلطان على فلسطين واليهود . وتودد اليهود للحكم الجديد واستعطفوه ـ وهم بارعون في ذلك ـ ثم التمسوا منه أن يسمح

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، اليهود لزكي ص ١٣٠ ـ ١٣٤ ، الشرائع الدينية ص ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٢٥٨ و٨٠ و٨٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٧٦ و٧٩ ـ ٨٠ .

لهم بالعودة إلى بلادهم وبناء هيكلهم واستئناف الحرية في ظله ، فوافق ، وعاد كثير منهم إلى فلسطين ، فأعادوا بناء المدينة والهيكل بعد إعاقات كثيرة بسبب خلافاتهم - سفر عزرا - ١ - ٦ ، وسفر نحميا ١ - ٧ ثم أقاموا الاحتفالات ، ودشنوا البيت بالقرابين ، لكن لم يضعوا فيه تابوت عهد الرب ، لأن إرمياء النبي كان قد أخذه - كما يقولون - ووضعه في إحدى مغارات جبل (نبو) في (مؤاب) مقابل (أريحا) فلم يستطع أحد أن يهتدي إلى مكانه حتى اليوم . وهكذا استعاد اليهود بعض أوضاعهم ، لكنهم فقدوا استقلالهم وتابوتهم هذه المرة ، ووقعوا تحت سيطرة الفرس [١] .

وفي عهد الملك الفارسي (أَرْتَحْشَشْتا) كان في بابل كاهن يهودي مقرب من الملك اسمه (عزرا بن سرايا) من سبط هارون . فطلب من الملك أن يسمح بعودة فوج آخر من اليهود إلى القدس فوافق - سفر عزرا ٧ - وعاد عزرا عام ٤٥٨ ق . م ومعه عامة الشعب وقوم من الكتبة اللاويين ، وأموال

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٣٥ - ١٤٧ .

كثيرة ، ورسالة أمن وتوصية من الملك جاء فيها ـ كما في سفر عزرا ٧ / ٢٥ ـ ٢٦ ـ : أما أنت ياعزرا ، فحسب حكمة إلهك التي بيدك ، ضع حكامًا وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر ، من جميع من يعرف شرائع إلهك ، والذين لا يعرفون فعلموهم ، وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك ، فليقض عليه عاجلاً ، إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس اهـ .

وهكذا وضع عزرا بتأييد من الفرس نظامًا للجماعة اليهودية برئاسة الكاهن الأكبر ومجلس الكهنة ، دون أن يكون لهم كيان سياسي بأي وجه . ودأب عزرا ومن معه من الكهنة على تبصير اليهود بالشريعة وتفسيرها لهم . ولذلك لقبوه بالكاهن وبالكاتب وبالوراق ، أي العالم والفقيه . وخضع لهذا النظام اليهود في الخارج ، لكنّ السامريين ـ وهم من بقايا مملكة إسرائيل ـ لم يعترفوا بهذا النظام [١] .

---

(١) الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٥ .

كتابة التوراة وجمع أسفارها من جديد :

الاعتقاد السائد لدى اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها . لكن الدلائل تشير إلى أنها كتبت في مراحل متباعدة ، وقد كتبها وجمعها معه قوم آخرون . فهناك في المنفى بينما كان زعماؤهم يتحرقون دون أن يستطيعوا المقاومة تفتقت عبقريتهم عن فكرتي (الشريعة والوعد) وغايتهم المحافظة على أنفسهم عرقًا متمردًا منظمًا تنظيمًا شبه عسكري ، منطويًا على نفسه غير قابل للاندماج مع غيره . ولذلك اتخذوا إجراءات صارمة ليحولوا دون انصهار اليهود مع الشعوب الأخرى ، فمنعوهم من الاختلاط والتزاوج ، بل حتى من المجالسة على الطعام مع أي غريب تحت شعار الدين وانتظار العودة [1] .

وهناك في المنفى قام أنبياؤهم أو علماؤهم - وأولهم حزقيال - فأعادوا كتابة الشريعة من جديد ، وألفوا الأسفار المعروفة بأسمائهم في العهد القديم ، ومع مرور الزمن أدخلوا

---

(١) التوراة تاريخها وغاياتها تعريب سهيل ديب ص ١٦ - ١٧ و ص ٢٠ .

عليها التعديلات والأساطير المختلفة ، وخلطوا بين أحداث وأخرى عن عمد أو بدون عمد ، إلى أن كان يوم الخلاص ، فعادوا إلى فلسطين وأعادوا النظر في دينهم وشرعهم ، فكانت اليهودية المنظمة [١] ولنستمع الآن إلى ما يقوله المحققون :

يقول العالم ول ديورانت [٢] : إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين . وقد كتب بعضه في يهوذا ، وبعضه في إسرائيل ، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود . والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتاب عزرا . ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م .

ويقرر أيضًا أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل ، ثم ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد اهـ .

وقد أعلن بحاثة يهودي أصبح أستاذ علم الاجتماع في

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٧٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ص ٨٠ ـ ٨١ و٨٧ ، التوراة تاريخها وغاياتها ص ٢٠ و٢٥ و٣٩ .

(٢) في قصة الحضارة ٢ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ انظر اليهودية لأحمد ص ٢٦٢ .

الجامعة العبرية في القدس : أن الأسس التاريخية لهذه العقيدة اليهودية ، قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي سنة ٤٠٠ ق . م ، ثم عدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غير المكتوبة . أي الشفوية وتلمود بابل .

وعلماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال النفي في بابل وبعده . ويجمع الباحثون والعلماء - وعلى رأسهم باحثو اليهود وعلماؤهم - على أن كتاب حزقيال وضع أولاً ثم ركبت من حوله الكتب الأخرى . وذكر بعضهم أن نبوءة حزقيال الموضوعة بين السنين ٥٩٢ — ٥٧٠ ق . م كانت بداءة سيطرة المبدأ الفريسي على اليهودية [١] .

وجود نسختين مختلفتين للتوراة بعد العودة :

رفض السامريون - وهم من بقايا مملكة إسرائيل - أن يعترفوا بسيادة مجمع كهنة القدس ، وبالنظام الذي وضعه عزرا وغيره من أول الأمر . وفي السنة الثانية من العودة شرع اليهود

(١) التوراة تاريخها وغاياتها ص ٢٥ و٣٩

مسرعين في بنـاء الهيكل تحت إشراف الـوالي (زربابـل بـن شـألتئيل) ورئيس الكهنـة (يشوع بن صـادق) فلم يلبثوا أن جاء السامريون الذين كان الآشوريون والبابليون قد استبقوهم وخلطـوهم بشعـوب أخرىٰ ، وطلبـوا أن يشتركـوا في بنـاء الهيكل . فرفض أولئـك طلبهم ، بحجـة أنهم كانـوا أقرب إلى الوثنيين في عقائـدهم وعاداتهم منهم إلى اليهـود . ومن ثم راح السـامريون ينـاوئـونهم ، ويحـولـون بينهم وبين المضيّ في بنـاء الهيكل . وتفاقم الخلاف بين الجهتين ، وسكن كل منهم في مدن خاصة به . مما أدى بالسامريين إلى مراجعة أمورهم وانفصالهم بتـوراة خـاصـة بهم ، لا تضم إلا الأسفـار الخمسـة ، ورفضـوا ماعداها .

يقول العبرانيون : إننا على حق . ويقول السامريون لهم : بل نحن وحدنـا على الحق ، وأنتم الـذين حرفتـم وغيرتـم وزدتم وأنقصتم من كتـاب الله . كما يـدعي السـامريـون أن التـوراة العبرانية كتبها عزرا وساعده زربابل بن شألتئيل [١] .

(١) هـداية الحيـارىٰ ص ٥٨١ ، الشرائع الـدينيـة ص ٦٥ ، اليهود لزكي ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، تقديم أحمد حجازي للتوراة السامرية ص ٦ وص ٢١ .

وهذا يعني أن توراتهم هي الحقيقيـة الموروثـة عن موسى ـ عليه السلام ـ وليست من كتـابـة أحـد من بعـده . ولو كانت إحدى التوراتين منقولة بـالتواتر ، أو كان لهـا على الأقل سنـد صحيح متصل لما ضرها وجود توراة أخرى ، كما هو الحال لدي المسلمين في نقـل سنـة نبيهم ـ ﷺ ـ ولكن كلتـا التـوراتين عارية عن شبه سند . ويظهر ـ والله أعلم ـ أن التوراتين كانتـا في الأصـل تـوراة واحـدة ، كتبت في أثنـاء السبي ، ثم نُقحت وزيد فيها بعده . والعداء الشديد بين الطائفتين هو الذي أدى إلى وجـود نسختين مختلفتين . إذ يكاد العلمـاء يجمعـون ـ ولا سيا علماء اليهود ـ على أن التوراة جرى تـأليفهـا في القرن السادس قبل الميلاد في أثناء سبي بابل (١) .

التوراة إبان حكم اليونان :

ظل اليهود تحت سيطرة الفرس زهـاء قرنين من الزمن إلى أن هزم الإسكنـدر الأكبر الـدولـة الفـارسيـة واستولى على بلاد

---

(١) وقد حكى شبه الإجماع هذا سهيل ديب في كتابه التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٨ .

الشام عام ٣٣٢ ق . م فدان له اليهود جميعًا من عبرانيين وسامريين .

وبعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق . م تقاسم قواده الإمبراطورية بينهم ، وخضع اليهود لخلفائه من بعده .

وفي عهد أنطيوخوس الرابع بدأ اليهود يتشبهون باليونان ، ويتعودون بعاداتهم ، ويعتنقون ديانتهم . وكان منهم قوم لا يفتؤون يتزلفون إلى الملك طمعًا في المناصب والمكاسب .

ولما هاجم بطليموس السادس سورية دحره أنطيوخوس الرابع ، وتبعه إلى مصر ، فقتله هناك ، لكن أشيع العكس في القدس ، فقام رئيس الكهنة السابق (ياسون) وانقَضَّ على المدينة بمن معه ، فقتل الحراس ، وطفق يذبح معارضيه . وعاد أنطيوخوس الرابع بجيش ضخم ، فدخل القدس ، وأمر جنوده بقتل كل من يرونه من اليهود ، ثم اقتحم الهيكل ، فاستولى على ما فيه ، وأحرق جميع نسخ العهد القديم . ثم لم يلبث أن قرر توحيد الديانة في جميع البلاد الخاضعة لحكمه ، وإلزام شعوبها بعبادة آلهة اليونان . فأصدر أمره إلى اليهود

بالامتناع عن ممارسة العبادات والعادات اليهودية ، وأمر ببناء مذبح للأصنام في الهيكل وفي كل مدينة يهودية . ومزق الجنود كل ما وجدوه من نسخ التوراة وأسفار الشريعة وأحرقوه ، وتتبعوا كل من يُخفي نسخة من العهد القديم أو يؤدي رسمًا من رسوم الشريعة فقتلوه . وكان ينفذ ذلك علنًا في كل شهر . فلم يعد أحد يعترف بأنه يهودي أصلاً [١] ـ سفر المكابيين الأول ١ ـ .

ولا شك أن التوراة التي كتبها عزرا وغيره كانت عند كهنة اليهود ، ولم تكن عند عامتهم . وعلى أحسن تقدير ، فإن كل كاهن يحفظ قسمًا منها . وإذا كان الملك قد قتل معظم الكهنة ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من التوراة ، أو يؤدي مراسيم الشريعة ، وكان التفتيش مستمرًا ، والقتل يجري كل شهر ، واستمر الأمر على هذه الشاكلة ثلاث سنوات ونصف ـ كما هو مفصل في تاريخهم ولا سيا تاريخ

(١) اليهود لزكي ص ١٤٩ ـ ١٥٠ وص ١٥٢ وص ١٥٤ ـ ١٥٦ ، إظهار الحق ١ / ٣٢٧ .

يـوسيفـوس اليهـودي ـ فكيف تبقى التـوراة سليمـة بعـد هـذا كله ؟! .

الغالب أنه انعـدمت جميع النسخ التي كتبهـا عزرا وغيره . وإذا كان ثمـة نسخـة بقيت عنـد شخص مـا في بلاد اليهـود أو خارجها ، فإن بقاءها أمر احتمالي . وهبها بقيت ، فـإن مظنـة التحريف والتبديل بسبب انعدام السند عندهم [1] .

التوراة إبان حكم المكابيين :

رأى كاهن يهودي اسمه (متاثيا) رجلاً يهوديًا يقدم ذبيحة لإلـه اليونـان ، فوثب عليـه وقتلـه ، ثم قتل منـدوب الملـك ، وهرب مع أولاده إلى الجبـال . ثم لم يلبثـوا أن تبعهم عـدد من اليهود ، وأصبحوا مصدر إزعاج للحكام .

وفي عام ١٦٧ ق . م مات الكاهن فخلفه ابنـه يهوذا المسمى (مكابيـوس) . وتمكن في عـام ١٦٤ ق . م من الاستيـلاء على القـدس والوصول إلى جبل صهيْوْن ، فـأزالوا معـالم الـوثنيـة ،

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٧ .

وأعدوا الهيكل للعبادة من جديد . لكنه مازال هو وخلفاؤه في صراع مع اليونان ثم مع الرومان .

وفي عام ٦٣ ق . م اقتحم الرومان القدس ، ودخلوا الهيكل حتى وطئوا قدس الأقداس ، وأخذوا الملك وأولاده معهم أسرىٰ إلى روما .

ثم في ٣٧ ق . م اقتحموها ثانية بعد تمرد يهودي ، فنهبوها وأشاعوا فيها القتل والدمار ، بعد أن قتلوا آخر ملوك المكابيين (أنتيجوس) [1] .

ولا شك في أن التوراة في هذا العهد إنما هي التوراة المظنونة ، أو النقول المتبقية بعد الاضطهادات في عهد اليونان .

التوراة إبان حكم الرومان :

انتقلت السلطة بعد مقتل (أنتيجوس) بأمر الرومان إلى

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٥٦ ـ ١٥٩ و١٦٢ ـ ١٦٥ و١٨٦ ـ ١٨٧ و١٩٠ ، الشرائع الدينية ص ٦٥ ـ ٦٦ ، اليهودية لأحمد ص ٩٣ ـ ٩٤ .

يهودي من أصل أدومي ، اسمه (هيرودس) كان شديد الخضوع للرومان، ومع ذلك عمل كثيرًا لاسترضاء اليهود ، فبنى لهم هيكلاً على نسق هيكل سليمان ، لكنهم ظلوا على كراهيتهم له . لأنه ليس من أصل يهودي صرف . فنكل بهم أشد تنكيل .

وبعد موته وقع خلاف كبير بين أولاده ، وتظلم الشعب لدىٰ الإمبراطور الروماني منهم ، فما كان منه إلا أن عيَّن واليًا رومانيًا على اليهودية والسامرة وأدومية عام ٦ م ، فكان هذا أول حاكم روماني يتولىٰ حكم اليهودية مباشرة .

وفي سنة ٢٦ م عين الإمبراطور الروماني طيباروس حاكمًا على اليهودية اسمه (بيلاطس بونتيوس) ، وهو الذي اشتهر بلقب النبطي . وفي عهده طلب مجلس الكهنة إعدام المسيح ـ عليه السلام ـ لكن هموا بما لم ينالوا [١] .

ولم يلبث الرومان أن ضاقوا ذرعًا بتمرد اليهود ودسائسهم ومكرهم ، فأرسلوا إليهم عام ٧٠ م جيشًا ضخمًا بقيادة

---

(١) اليهود لزكي ص ١٩٠ ـ ١٩١ و٢٠٣ ـ ٢٠٤ و٢٠٦ .

(فسباسيان) فحاصر القدس ، وضيق عليهم الخناق . وفي هذه الأثناء انتخبه الجيش إمبراطورًا . فعاد إلى بلاده ، وخلفه في قيادة الجيش ابنه (تيطُس) فواصل الحصار حتى اقتحم المدينة ، وأشاع فيها الخراب والدمار ، وأضرم النار في الهيكل بعد أن سلب ما فيه . ثم طفق يتتبع اليهود ويذبحهم . وقد صمم على أن يفنيهم عن آخرهم .

ولما اندلعت الثورة الثانية لليهود عام ١٣٠ - ١٣٥ م وقضى عليها الإمبراطور الروماني (أدريانوس) أزال معالم المدينة والهيكل تمامًا ، فحرث الأرض وزرعها ، ولاحق اليهود بشدة للتخلص منهم نهائيًا . ثم أقام مكان الهيكل هيكلاً وثنيًّا باسم (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان . وبقي هذا الهيكل إلى أن دمره النصارى من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين .

وهكذا ألحق الرومان الخراب والدمار بمدن اليهود وقراهم ، بعد أن أبادوا معظمهم . ولم يبق منهم إلا عدد قليل ، هاموا على وجوههم في أنحاء الأرض ، وظلوا على مر العصور مشردين مكروهين من الناس الذين حولهم في كل أرض ، ولدى كل

جيل [1] . ولم يجدوا الأمن والراحة إلا في البلاد الإسلامية واستمروا على هذه الحال قرابة ألفي عام إلى أن ردوا الجميل للمسلمين على طريقتهم فأقاموا دولتهم إسرائيل عام ١٩٤٨ م على أشلاء شعب فلسطين المسلم . ولا يدري إلا الله متى يتحقق ما وعد الله به على لسان رسوله ﷺ فيقهرهم المسلمون ويطردونهم .

وصفوة القول :

إن اليهود قد نالهم الاضطهاد من قبل الكلدانيين والبابليين والفرس ، فاليونان فالرومان والنصارىٰ ، وما من أمة إلا وقد قصدتهم أشد القصد . واشد ذلك ما نالهم على أيدي ملوكهم العصاة المرتدين . فأي توراة تبقىٰ مع هذا كله ؟ وأي بديل لها مما كتبه عزرا وغيره يبقىٰ صحيحًا سالمًا ؟ ! .

إنه مما لا ريب فيه أن التوراة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم ، ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسىٰ ـ عليه

---

(١) اليهود لزكي ص ٢٠٩ ـ ٢١١ ، الشرائع الدينية ص ٦٦ ، اليهودية لأحمد ص ٩٤ .

السلام ـ قطعًا . بل إنما هي من جمع وتلفيق عزرا وغيره إبان السبي وبعده على أحسن تقدير . ثم أُلحق بها أسفارٌ خلَّفها كتاب مجهولون ، عالجوا النصوص على سجيتهم ، وبحسب الظروف التي عاشوها والضرورات التي كان عليهم مواجهتها .

ولم يقم دليل على عصمة عزرا ومن ساعده ، ولا على أن تلك النصوص التي جمعها هي من عين التوراة التي أنزلها الله على موسىٰ ـ عليه اسلام ـ كما أنه لم يقم دليل على أن التوراة الموجودة اليوم هي التي كتبها عزرا وغيره إبان السبي وبعده ، بدون زيادة ولا نقصان . لأنه ليس لها شبه سند ، فضلاً عن أن يكون لها سند متصل ، أو تكون منقولة بالتواتر . ولاسيما وأن أهل الكتاب لا يعتمدون على الأسانيد ولا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار ، كما هو الحال لدى المسلمين ، وما ذكر من واقع العهد القديم خير دليل على ذلك .

* * *

مدىٰ صحة العهد القديم

تبين مما سبق أن التوراة الحقيقية التي أنزلها الله على موسىٰ ـ عليه السلام ـ قد ضاعت خلال عصيان اليهود وارتدادهم ، ثم ضاع بديلها في أثناء الغارات المتتالية على القدس . وأن ما يسمىٰ اليوم بالتوراة إنما هو مجموعة من القصص والروايات التي كانت مشتهرة بين اليهود ، قام أحبارهم بجمعها وكتابتها بعد موسى بزمن طويل من غير تدقيق ولا تحقيق . ويظهر ذلك من النواحي التالية :

١ ـ عدم وجود سند لأسفاره :

ليس للتوراة التي بين يدي أهل الكتاب شبه سند فضلاً عن أن تكون منقولة بالتواتر ؛ فالهارونيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة ، ولم يكن حفظها غيبًا فرضًا عندهم ولا مستحبا . بل إنما كان كل واحد منهم يحفظ فصلاً منها . وهبها كانت محفوظة لدىٰ جميع الهارونيين ، فإنها قد ضاعت خلال عصيان اليهود وارتدادهم إبان عهد القضاة والملوك كما سلف . وحادثة الملك يوشيا خير دليل على ذلك . ولو سلمنا

بأنها هي فإنه لم يُعمل بها إلا مدة ثلاث عشرة سنة ، وهي الفترة المتبقية من حكمه ، أما بعد موته فلم يُعلم حالها ولا مصيرها . ولو فرض بقاؤها ، فالمقطوع به أنها انعدمت مع سائر اسفار العهد القديم في حادثة بختنصر . والتوراة التي كتبها عزرا وغيره ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى ، ولو كانت إياها لرجع إليها مباشرة ونقل منها ، ولم يخالفها ويعتمد على الأوراق الناقصة التي لم يقدر على التمييز بين الغلط والصح منها . وعليه فلا تكون هذه التوراة معتمدة حتى لو كتبها عزرا . ثم ضاع أيضًا ما كتبه عزرا في حادثة أنتيوخوس الرابع ، ثم في حادثة تيطس الروماني . فلا يصح شيء من كتب العهد القديم [١] . وإليك بعض شهادات المحققين :

قرر العالم ول . ديورانت في كتابه قصة الحضارة أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى إلا الوصايا العشر [٢] .

(١) هداية الحيارى ص ٥٨١ و٥٨٤ ، تنقيح الأبحاث ص ٢٧ و٢٩ الجواب الصحيح ٢ /١٨ ـ ١٩ ، إظهار الحق ١ / ٥٨ ـ ٥٩ و٢٢٦ و٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٩ .

وقال العالم أدموند جاكوب : كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثًا شعبيًا لا سند له إلا الذاكرة ، وهي العامل الوحيد الذي اعتُمِد عليه في نقل الأفكار . وكان هذا التراث يُغنّىٰ في مختلف المناسبات [١] .

وقال العالم الكاثوليكي جان ميلز : اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية ، وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها بوساطة عزرا ضاعت تلك النقول في حادثة أنتيوخوس [٢] .

٢ ـ جهالة الكتاب الحقيقيين لأسفاره :

ظل أهل الكتاب قرونًا طويلة يعتقدون أن موسىٰ هو كاتب التوراة التي بين أيديهم . أما اليوم فقد هُجر هذا الفرض هجرًا تامًا . وعلماء اليهود والنصارىٰ في عصرنا يعترفون بأن التوراة الحالية لم يكتبها موسىٰ ، وأن ازديادًا تدريجيًا قد وقع فيها ، سببته مناسبات وملابسات دينية واجتماعية ، وضعه

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٠ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢٢٩ .

كتاب عديدون بعد موسى [١] .

أما سائر الأسفار فيحمل كل سفر منها اسم أحد أنبياء بني إسرائيل ، لكن الحقيقة والواقع أن مؤلفيه الحقيقيين مجهولون ، وهم موضع تخمين يفتقر إلى التوثيق . وقد أثبتت التحقيقات والتحريات العلمية أن هذه الأسفار تنسب لأشخاص لم يكتبوها ، وأن بعض الأسفار ليس في الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية لصقها الكتاب ببعض الأنبياء [٢] .

٣ ـ وجود ثلاث نسخ مختلفة للعهد القديم :

ثمة ثلاث نسخ رئيسية للعهد القديم معتمدة لدى أهل الكتاب في زماننا هذا ، مع أنها مضطربة ومختلفة كما سنرى نماذج من ذلك بعد قليل ، وهذه النسخ هي :

ا ـ النسخة العبرانية : وهي المعوّل عليها لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت .

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٧ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٢٣ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٥٩ ، دراسة لموريس ص ٢٣ ، اليهودية لأحمد ص ٢٠٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٢ ـ ١٣ وانظر المقدمة ص ٤ ـ ٥ .

ب ـ النسخة اليونانية : وهي المعروفة بالترجمة السبعينية . وكان النصارى إلى القرن الخامس عشر شبه مجمعين على صحتها . لأنهم يعتقدون أن اليهود حرفوا النسخة العبرانية عن قصد . ولا زالت الكنيسة اليونانية والكنائس الشرقية مجمعة على صحة الترجمة اليونانية واعتمادها إلى اليوم . أما الكنيسة الرومانية فقد اعتمدت الترجمة اللاتينية .

وجمهور علماء البروتستانت خالفوا أسلافهم فاعتمدوا النسخة العبرانية ، وقالوا في حق اليونانية ما قاله أسلافهم في حق العبرانية . أما الترجمة اللاتينية فقد أجمع علماء البروتستانت على أنها محرفة تحريفًا لم تُحرف ترجمة مثله قط ، بل قالوا : إنه قد أُدخل فيها بعض فقرات من العهد الجديد ، كما أُدخل في متنها عبارات الحواشي . ولهم على ذلك أدلة شافية [٤] .

جـ ـ النسخة السامرية : وهي المعتمدة لدى اليهود السامريين ، كما أن كثيرًا من علماء البروتستانت يعولون عليها

(٤) إظهار الحق ١ / ٢١٨ و٢٣٨ .

دون العبرانيـة لاعتقـادهم تحريف اليهـود للعبرانيـــة ، ولهم علىٰ ذلك أدلة وافرة .

وهـذه النسخـة إنمـا تحتـوي على الأسفـار الخمســة ، وبعض السـامريين يضيف إليهـا كتـاب يـوشـع وكتــاب القضـــاة ، ولا يسلمون بسائر العهد القديم [1] .

تغير موقف الكنيسة من العهد القديم على التوالي :

إن حال الأسفار المقدسـة لـدىٰ النصـارىٰ كحـال الأنظمـة والقوانين الوضعيـة ، يطرأ عليهـا تعـديل بين حين وآخر ؛ ألا ترىٰ أن الترجمة اليونانية للعهد القديم كان معترفًا بهـا إلى القرن الخامس عشر ، والنسخة العبرانية يُعتقد بتحريفها ، ثم انعكس الأمر بعد ذلك لدىٰ البروتستانت ، فصـارت المحرفـة صحيحـة والصحيحة محرفة ، وأن سفر دانيال كان معترفـا بـه لـدىٰ أسلافهم وَفق الترجمة اليونانية ، ثم حكم (أرجن) بعـدم صحتـه فتركوه وأخـذوه من ترجمـة (تهيـودوش) ، وأن كثيرًا من الكتب التي

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢١٨ و٢٢٨ وانظر ٢ / ٢٢١ ـ ٢٢٢

سلم بها أسلافهم يرونها اليوم موضوعة مكذوبة [١] .

كما أن مقدمات الكتاب المقدس كانت تسوق الأمور بشكل يختلف عن نظرة الباحثين المحققين ، فهي تسكت عن الأمور الأساسية الخاصة بتدوين الكتب ، وتحتفظ بغموض يضلل القارئ . وكانت الكنيسة الكاثوليكية حتى عام ١٩٦٢ م ، تؤكد على عقيدة الإلهام ؛ ففي مجمع الفاتيكان المنعقد في عام ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ م تقرر أن الكتب القانونية التي سلمت بها الكنيسة لكلٍ من العهدين قد كُتبت بإلهام الروح القدس . غير أن الكنيسة عادت بعد نحو قرن لتواجه الحقائق وتعترف بها ، فقد بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان المنعقد بين عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص العهد القديم . وبعد ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة تم قبول صيغة حظيت بأغلبية (٢٣٤٤) صوتًا ضد (٦) ستة أصوات ، وأُدرج في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم ، جاء في الفصل الرابع منها

---

(١) إظهار الحق ص ١٠٤ طبعة قطر .

وفي الصفحة (٥٣) ما يلي : « بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح ، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان . غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان » [١] .

وجاء في تقديم الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك عام ١٩٦٠ م عن أسفار موسى الخمسة ما يلي : « كثير من علامات التعجب تظهر في رواية هذا الكتاب وشرائعه ، مما حث المفكرين من كاثوليك وغيرهم على التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبي ، فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب الأسفار الخمسة منذ قصة الخلق إلى قصة الموت ، كما أنه لا يكفي أن يقال : إن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة » [٢] .

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٦ و٥٣ و٥٩ ـ ٦٢ ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ندوة الخرطوم .

(٢) مجلة الجامعة ندوة الخرطوم ص ١٦٠ .

اضطراب العهد القديم

لما كان العهد القديم مكونًا من مجموعة من المؤلفات المختلفة في طولها وعرضها ، والتي لا يُعرف أسماء مؤلفيها وأحوالهم على وجه راجح . بل كانوا متأخرين في الزمن كثيرًا عمن نُسبت إليهم ـ كما قرر الباحثون ـ وقد كتبت على مدى يربو على تسعة قرون بلغات مختلفة اعتمادًا على التراث المنقول شفويًّا من غير تدقيق ولا تمحيص ، بل بتغيير وتبديل ، فمن الطبيعي أن تكون مضطربة في نصوصها متضاربة في أقوالها ، تجد العيون فيها أمورًا غير مقبولة ، وإليكم نماذج من ذلك :

نماذج من الفروق بين النسخ الثلاث للتوراة :

١ ـ من تتبع الأرقام وعدد السنين في النسخ الثلاث ، وجد أن مدة الزمان منذ أن خلق الله آدم إلى طوفان نوح في العبرانية (١٦٥٦) سنة ، وفي اليونانية (٢٢٦٢) سنة ، وفي السامرية (١٣٠٧) سنة .

ولما كان هذا اختلافًا فاحشًا ، فإن المؤرخ اليهودي الشهير

يـوسفيس لم يعتمـد على نسخـة منهـا ، وقرر أن المـدة هي (٢٢٥٦) سنة [١] .

٢ - إن مـدة الـزمـان من الطـوفـان إلى ولادة إبراهيم في العبرانيـة (٢٩٢) سنـة ، وفي اليـونـانيـة (١٠٧٢) سنـة ، وفي السامرية (٩٤٢) سنة .

ولـذلـك نبـذ المـؤرخـون ثـلاث النسـخ وراءهم ظهريًّـا ، وقرروا أن مدة الزمان في هذه الفترة هي (٣٥٢) سنـة . أمـا المؤرخ يوسفيس فقرر أنها (٩٩٣) سنة [٢] .

٣ - إن مـدة الزمـان من خلـق آدم إلى ولادة المسيـح على وفق ما ذكرت العبرانية (٤٠٠٤) سنة ، وعلى وفق مـا ذكرت اليـونـانيـة (٥٨٧٢) سنـة ، وعلى وفـق مـا ذكرت السـامريـة (٤٧٠٠) سنة . فأين الوحي والإلهام ؟! [٣]

٤ - جاء في سفر الخروج ١٢ / ٤٠ من النسخـة العبرانيـة :

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢١٨ - ٢١٩ و٢ / ٧٩ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢١٩ - ٢٢٠ و٢ / ٧٩ .

(٣) إظهار الحق ٢ / ٨٠ .

« وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر ، فكانت (٤٣٠) سنة » .

وجاء في السامرية واليونانية : « وسكنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان وفي أرض مصر (٤٣٠) سنة » . فزاد هنا أرض كنعان وأبقى العدد نفسه [1] ؟! .

٥ ـ جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٩ / ٣٥ من النسخة العبرانية : « وكان اسم أخته معكة » . وفي اليونانية واللاتينية والسريانية : « زوجته معكة ».

٦ ـ جاء في النسخة العبرانية من سفر أخبار الأيام الثاني ٢٨ / ١٩ : « لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل .. » . وفي النسخة اليونانية واللاتينية : « بسبب آحاز ملك يهوذا » .

وهذا هو الصواب لأن آحاز كان ملكًا على يهوذا ، لا على إسرائيل [2] .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٢٥ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢٥٥ .

نماذج من التناقض والأغلاط في الأسفار الخمسة :

١ ـ جاء في سفر التكوين ٤ / ٢ : أن هابيل بن آدم كان راعي غنم . ثم جاء بعد ذلك في ٤ / ١٩ ـ ٢٠ من السفر نفسه أن ياباال ـ وهو في العقب السابع من آدم ـ كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام . فمن الراعي الأول ؟! .

٢ ـ جاء في سفر التكوين ٦ / ٣ : أن الله قد غضب في زمن نوح على النوع الإنساني ، فجعل أعمار البشر لا تتجاوز (١٢٠) سنة . ثم جاء بعد ذلك في ١١ / ١٠ من السفر نفسه : أن سام بن حام عاش (٦٠٠) سنة ، وأرفكشاد بن سام عاش (٤٣٨) سنة ، وشالح بن أرفكشاد عاش (٤٣٣) سنة ، وعابر بن شالح (٤٠٤) ، وفالح بن عابر (٢٣٩) سنة ، ورعو بن فالح (٢٣٩) سنة ، وسروح بن رعو (٢٣٠) سنة ، وناحور بن سروح (١٤٨) سنة ، وتارح ابن ناحور (٢٥٠) سنة .

فهل هي غفلة من الكاتب عما أورده غيره أو أن كل شيء وضع وحده ثم تم الجمع ؟ .

٣ ـ جاء في سفر التثنية ٢٣ / ٢ : « لا يدخل ابن زنىٰ في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل أحد منهم في جماعة الرب » .

وجاء في الباب (٣٨) من السفر نفسه : أن فارض ابن زنىٰ ، وأن داود هو البطن العاشر من فارض .

ويظهر هذا أيضًا في سرد نسب يوسف النجار في إنجيلي متى ولوقا . فكيف دخل داود في جماعة الرب ، وصار الولد البكر لله كما في الزبور ؟! ولذلك حكم المفسر هارسلي بأن هذه الجملة « حتى يمضي عشرة أعقاب » ملحقة بالنص وليست أصلية (١) .

نماذج من التناقض بين التوراة وسائر الأسفار :

١ ـ جاء في سفر التثنية ٢ / ١٧ ـ ١٨ : « قال لي الرب : إنك تدنو إلى قرب بني عمّون ، فلا تقاتلهم ولا تحاصرهم ، لأنني لا أعطيك شيئًا من أرض بني عمون ، لأنني أعطيتها بني

---

(١) إظهار الحق ١ / ٦٣ و٢٤٨ .

لوط ميراثًا » .

وجاء في سفر يوشع ١٣ / ٢٤ ـ ٢٥ : « وأعطى موسى لسبط جاد حسب عشائرهم ، فكان تخمهم جد يعزير وكل مدن جِلعاد ونصف أرض بني عمّون إلى عروعير .. » .

٢ ـ جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤ / ٨ : « كان يهوياكين ابن ثماني عشرة حين ملك » .

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦ / ٩ : « وكان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك » .

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره ، في معرض كلامه على عبارة سفر الملوك : « وقع في ٣٦ / ٩ من السفر الثاني لأخبار الأيام لفظ (ثمان) وهو غلط . لأن ملكه دام ثلاثة أشهر ، ثم أُخذ إلى بابل أسيرًا ، وكان في السجن مع أزواجه ، والغالب أنه لا يكون لابن ثمان أو تسع أزواج » [1] .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٢٣٢ .

٣ ـ ورد في البـابين الخـامس والسـادس من سفر صمـوئيـل الثاني أن داود جاء بالتابوت بعد محاربـة الفلسطينيين . وورد في البـابين الثـالث عشر والرابع عشر من السفر الأول لأخبـار الأيام أنه جاء بالتابوت قبل محاربتهم .

فـإذا كانت الحـادثـة واحـدة كما هـو ظـاهر ، فمتى جـاء بالتابوت ؟!

* * *

لمحة تاريخية عن الأناجيل والأدوار التي مرت بها

حقيقة الإنجيل عند النصارىٰ :

الإنجيل كلمة يونانية الأصل ، معناها : التعليم أو البشارة .

ويطلق اسم الإنجيل عرفًا عند النصارىٰ اليوم على تلك القصص التي كُتبت بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ تقصّ أحواله وأعماله وأقواله التي وعظ بها ومعجزاته التي أجراها الله على يديه وغير ذلك .

فالإنجيل في اعتقادهم ليس كتابًا أوحى به الله سبحانه إلي المسيح ـ عليه السلام ـ بل هو رسالة أعدها المسيح نفسه للعالم ، ووعظ بها وعلمها شفويًا لتلاميذه المختارين ، وأرسلهم إلى جهات مختلفة لينشروها ويعلموها غيرهم . ولذلك دعوا بالرسل . ووعدهم بنزول (الروح القدس) عليهم بعد رفعه إلى السماء ليعلمهم كل شيء . ويعتقدون أن هذا قد حدث يوم الخمسين من قيامة المسيح بعد الصلب ، فبينما كان التلاميذ مجتمعين في مكان ، خرج من السماء فجأة دويٌّ كريح عاصفة ،

ملأ البيت الـذي كانـوا فيـه . وظهرت ألسنـة كأنهـا من نـار ، انقسمت ووقف على كل واحد منهم لسان ، فـامتلؤوا كلهم من الروح القـدس ، وأخـذوا يتكلمون بلغـات غير لغتهم على قـدر مـــا منحهم الروح القـــدس أن ينطقـــوا ـ سفر الأعمـــال ٢ / ١ ـ ٤ .

ومن ذلك اليوم أخذ التلاميذ يبشرون بـالأنـاجيل في كل مكان ، ويقـدمون للنـاس رسـائل الخلاص بمـا يـلائم عـاداتهم ولغاتهم ، وحسب إرشاد الروح القدس لهم .

والإلهام عندهم إنما هو في المضمون الرئيسي أو الرسمي . أمـا بقية الأفكار والمعاني وأسلوب البيان والتعبير فللكاتب .

وهم يحصرون ذلـك بـأربعـة أنـاجيـل تنسب لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا ، انتقوها في أحد مجامعهم المقـدسـة بعـد أخـذ و رد من بين أكثر من مائة إنجيل . وفرقهم مجمعة على أنهـا أربعـة تواريخ ألفها أربعة رجال في أزمنـة مختلفـة بعـد رفع المسيح ، وهم يعترفون بأنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه أو رأوه [١] .

---

(١) مقدمة العهد الجديد المطبوع في حريصا بلبنان عام ١٩٦٤ ص أ ـ ب ، مقدمـة =

ويعتقد المسلمون أن الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وحيًا على عبده ورسوله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فيه هدىً ونور . وقد بلّغ ـ عليه السلام ـ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة لكن لا وجود لهذا الإنجيل اليوم .

الإنجيل في زمن المسيح ـ عليه السلام ـ :

إذًا . فالنصارى يرون أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم تكن له رسالة مكتوبة ، كما أنه لم يكتبها ولم يأمر بكتابتها . بل إنما علمها لتلاميذه المختارين شفويًّا بلغتهم ، وكان يلقيها عليهم جزءًا بعد جزء بحسب الحوادث والمناسبات ، فيفهم البارزون من أصحابه على قدر ما يسيغونه من كلامه ، ثم ينفضّون عنه إلى عودة أخرى . وهكذا تكون الإنجيل [١] .

= العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ م وانظر منه التعريفات ص ٦٥٧ـ٦٥٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ ، إظهار الحق ١ / ٥٢ ، الفصل لابن حزم ٢ / ٢١ ، الجواب الصحيح ٢ / ١١ ، هداية الحيارى ص ٥٢٣ ، تفسير المنار ٣ / ١٥٨ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٠ و٦٦ ، المسيحية لأحمد ص ٢١ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٧ ، مواجهة صريحة ص ٨٠ ـ ٨٢ .

(١) الفصل ٢ / ٢١ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٠ وص ٦٦ ، مباحث بريئة في

لكن الشواهد متضافرة على أنه كان ثمة إنجيل أتى به المسيح ـ عليه السلام ـ وسلمه لتلاميذه ، وأمرهم أن يبشروا به . فأين هذا الإنجيل ؟؟

لا ريب أنه قد ضاع . إذ ليس هو أحد الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم بإقرارهم ، ولا مجموعها أيضًا . لأنها تنسب إلى أصحابها . وقد كُتبت بعد رفعه .

وإننا لنجد في العهد الجديد عبارات تدل على ذلك الإنجيل ، ومنها ما يلي : .

١ ـ جاء في إنجيل متى ٢٦ / ١٣ : الحقّ أقول لكم ؛ حيثما يكرزْ بهذا الإنجيل في كل العالم ، يُخبر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها .

فاسم الإشارة يقتضي مشارًا إليه . ولو كان يريد التعاليم التي في صدره لبيّن ذلك . فأين هذا الإنجيل الذي أشار إليه المسيح ـ عليه السلام ـ ؟!

= الإنجيل ص ٨ .

٢ ـ وجاء في إنجيل مرقس ١ / ١٤ ـ ١٥ : وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل .

فكلمة (الإنجيل) جاءت معرفة بـ (الـ) الدالة على العهد الذهني . وهذا يعني أن ثمة إنجيلاً كان قائمًا في أذهانهم ذلك الوقت . فأين هو ؟؟

٣ ـ وجاء في رسالة بولس إلى الرومانيين ١ / ١ : بولس .. المدعو رسولاً ، المفرز لإنجيل الله ١ / ٩ : فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي .. .

٤ ـ وجاء في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى ٩ / ١٢ : بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح .

ففي تلك النصوص نجد كلمة (إنجيل) مضافة إلى لفظ الجلالة (الله) ، أو إلى الابن ، أو إلى المسيح ـ عليه السلام ـ فأين هذا الإنجيل ؟ !

إذًا . فقد ضاع الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه على عبده ورسوله المسيح ـ عليه السلام ـ ولم يبق له أثر إلا بعض عبارات متفرقة في الأناجيل المتداولة بين النصارىٰ والمطّلع علىٰ الأناجيل الأربعة يجد أن كُتابها قد استفادوا من ذلك الإنجيل قبل ضياعه . ولو أن هذا الكتاب وصل إلينا كما كتبه أو بلّغه لكان من أهم الكنوز وأغلاها .

وعلماء النصرانية الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقيقة يُصرّحون بأنه كان في القرن الأول الميلادي رسالة تعد أصلاً لهذه الأناجيل :

نقل المحقق نورتن عن إكهارن قوله : « إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة ، يجوز أن يقال : إنها الإنجيل الأصلي . والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب . وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

وهذا هو مختار كثير من العلماء الألمان المتأخرين ، وإليه

مال كثير من المحققين [١] .

ذكر هورن في تفسيره [٢] : أن ليكلرك وكوب وميكايلس ولسنك ومارس وغيرهم قالوا : « لعل متى ومرقس ولوقا كان عندهم صحيفة واحدة باللسان العبري ، وكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها ؛ فنقلوا عنها . نقل عنها متى كثيرًا ، ومرقس ولوقا قليلاً » .

الإنجيل بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ :

لم يؤمن بالمسيح ـ عليه السلام ـ حال وجوده سوى عشرين ومائة رجل وقليل من النّسوة ـ كما في سفر الأعمال ـ وكان كل من آمن به يكتم إيمانه مخافة الأخذ والتعذيب .

واستمرت الاضطهادات بعد رفعه ـ عليه السلام ـ فأحاقت بحوارييه وأتباعه أشد المحن ، حتى كادت الدعوة أن تفنى . فتفرق أصحابه في أقطار الأرض يدعون إلى دينه سرًا ، وفي

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٨٨ ـ ١٨٩ ، محاضرات في النصرانية ص ٦٨ .

(٢) ٤ / ٢٩٥ ، المطبوع عام ١٨٢٢ م وهو من محققي البروتستانت ، انظر إظهار الحق ١ / ١٩٩ و٢٩١ ـ ٢٩٢

أذهانهم أثارة من أقواله وتعاليمه . ومن ظُفر به منهم قتل . وظل الناس يتناقلون الروايات الشفوية عن أقواله وأفعاله ومعجزاته قرابة خمس وثلاثين سنة [١] .

ولا شك في أن الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها ، مع عدم وجود من يحافظ على التراث ويدونه ، أدت إلى ضياع الإنجيل الحقيقي وضياع كثير مما نقله الحواريون عن المسيح - عليه السلام - وإلى ظهور أناجيل متعددة ، فيها تعاليم متناقضة .

تدوين الأناجيل إبان المحن :

نزل بأتباع المسيح - عليه السلام - بلايا وكوارث جعلتهم يستخفون بدينهم ، ويفرون به أحيانًا ، ويصمدون لمضطهديهم مستشهدين أحيانًا أخرى . فبعد القيصر طيباروس الذي عاصر المسيح - عليه السلام - جاء قيصران شديدان على تلاميذه ، فقتلا منهم قتلا ذريعًا .

(١) دراسة لموريس بوكاي ص ٧٦ - ٧٧ ، مباحث بريئة ص ٨ - ٩ و١٢ .

ويذكر النصارىٰ أنه في وسط تلك النكبات دُوِّنت أناجيلهم الأربعة ورسائلهم ؛ ففي زمن ثاني القيصرين الشديدين دون متى إنجيله باللغة العبرانية . وفي عصر نيرون دون مرقس إنجيله وهو بمصر . وكان قد كتبه عند بطرس وهو بروما . ويذكر بعض المؤرخين أن رجال الكنيسة اجتمعوا في عهد نيرون عام ٦٤ م بعد أن قُتل كثير منهم ، فتدارسوا الأمر وحاولوا أن يتذكروا أقوال بطرس عنه وعن معجزاته ، فطلبوا من يوحنا الملقب مرقس ، وهو زميل بطرس ، أن يسجل ما يتذكره من أقوال المسيح وتعاليمه . فجمع بشارة بذلك . ولما رأى الآخرون عمل مرقس ، عملوا هم أيضًا بشارات عن حياة المسيح . وكل واحد يسمي ماكتبه إنجيلاً .

ويذكر بعضهم أيضًا أن لوقا كذلك دون إنجيله في عهد نيرون . أما إنجيل يوحنا فالغالب أنه دُوِّن بعد ذلك (١) .

ومرت الأيام ، وتعددت الأناجيل والرسائل ، حتى أصبح

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٦ ـ ٣٧ .

لكل منطقة إنجيلها الخاص . ويذكر التاريخ أنه كان في القرنين الأولين للميلاد أناجيل أخرىٰ ، أخذت بها فرق قديمة في العصور الغابرة ، وراجت عندها ، بحيث لم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها ، وتحكم بزيف غيره وبطلانه . بل لقد أربت الأناجيل على المائة . أما الرسائل فكانت أكثر من ذلك بكثير [1] .

وفي سنة ٣٠٣ م أراد (ديوكليشين) أن يمحو وجود الكتب المقدسة عن صفحة العالم . واجتهد في ذلك فأصدر أمرًا بهدم الكنائس وإحراق الكتب ومنع النصارىٰ من الاجتماع لأداء العبادة . ونفذ ولاته الأمر ، ومن سبق إلى ظنهم أنه أخفى كتابًا عذبوه عذابًا شديدًا حتى يفصح عنه فيحرق .

ولم يكن الاضطهاد من قبل الرومان فحسب . بل شاركهم في ذلك اليهود . وكان أذاهم أمكن ، وتنقيبهم عن العقيدة أدخل . وكانوا يتفننون في طرق إبادة أتباع المسيح

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٩ ، دراسة لموريس ص ٩٩ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٣ .

من الوجود ، فما تركوا عالمًا إلا قتلوه واستمر الاضطهاد اليهودي الروماني نازلاً بهم حتى جاء (قسطنطين) في أوائل القرن الرابع الميلادي فكان عصره عصر خير وبركة عليهم [١] .

ولا ريب في أن هذه الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها وفي بدء تدوين كتبها جعلت كل عمل يقومون به في شؤونهم الدينية سرًا لا جهرًا . والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يُحكىٰ عما يحدث فيها . ولا مانع من أن يُدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، ويُنقل عن أشخاص ما لم يقولوه . ولاسيما إذا كان الظرف مواتيًا للتحريف نظرًا لقلة النسخ وكثرة الاضطهاد . وهم يذكرون وقائع من قتل وملاحقة ومحاولة إبادة ، ما لو كان صحيحًا لقلّت النسخ وانقطع سندها ، وكان للمحرفين مجال كبير . بل لا عجب إذا ما انعدم بعض الكتب أصلاً ، وكان الموجود باسمه موضوعًا مكذوبًا . فإذا جرى الشك لدي الباحثين دون من كتب النصارىٰ الأولىٰ التي كُتبت في ظلمه السرية وفُقِد

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٣٠ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩ .

سندها بسبب الاضطهاد ، فإنه يكون قد وقع حيث وُجدت دواعيه وقامت شواهده . واعتذار بعض علماء النصارى عن الاضطرابات القائمة في الأناجيل بأنها دُونت في عصور الاضطهاد لا يجديهم فتيلاً [١] .

بولس ودوره :

وفي أثناء الظلام الحالك دخل بولس في دعوة المسيح بطريقة مريبة ، يبدو أنه خطط لها مع حنانيا . فقد انتقل ـجأة من اضطهاد الكنيسة بإفراط ـ وهو اليهودي الفريسي ـ ـى الدين الجديد من غير مقدمات و تمهيد . ليس تابعًا عاديًا فحسب ، بل رسولاً يضارع بطرس . وراح يقول في صراحة : إنه الوحيد الذي ائتمن على المسيحية الصحيحة وعلى إنجيل مجد الله المبارك ، وأن كل ما يخالف قوله من تعاليم باطل دنس مخالف للعلم كاذب الاسم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان .

وقام الصراع بين بولس وأنصاره من جهة وبين أتباع المسيح الحقيقيين من جهة ثانية ، وطال أمده وامتد قرونًا

---

(١) إظهار الحق ١ / ٣٢٨ ـ ٣٣٠ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٠ ـ ٤١ .

طويلة بعد وفاة بولس .

ولاشك في أن المسيحيين الحقيقيين كتبوا وتكلموا وناضلوا . وهذا واضح من تحذيرات بولس ويوحنا . لكن أين ما كتبوه ؟ لابد أنه ضاع في العصور المظلمة كما ضاع إنجيل المسيح عليه السلام وربما نجا بعض ما كتبه هؤلاء ، وأخفاه أصحابه ، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية حيث غُلب القائلون بالتوحيد على أمرهم ، وهم الأكثرية ، وانعقد المجمع بدونهم في أقلية تقول بألوهية المسيح . واختير الكتاب المقدس للنصارى في هذا المجمع ثم في المجامع التالية [١] .

مجمع نيقية :

بعد أن أفاق النصارى من الاضطهادات التي توالت عليهم ، نظروا في تلك القصص التي كتبت ، فهالهم أمرها وتنبهوا للخطر . وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث بدأت الكنيسة تبحث عن أصل الإنجيل . ولكن دون

(١) المسيحية لأحمد ص ١٠٧ ـ ١١٣ وص ١١٨ .

جدوى ، فقد اختلط الحابل بالنابل .

ولما منح الامبراطور قسطنطين عطفه لأتباع المسيح واعتزم الدخول في دينهم ، ظهرت الخلافات الكامنة ، فإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلّق باسم المسيح واشتد الخلاف بين الطوائف ، فأمر بعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م .

وجاءت الطوائف المختلفة ومعها عشرات الأناجيل ومئات الرسائل للتدقيق وإظهار الحجة . وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقويه لعدم وجود الأسانيد . وسمع الملك تلك المناظرات فعجب أشد العجب . ثم جنح أخيرًا إلى رأي بولس لقربه من أفكاره الوثنية ، فعقد مجلسًا خاصًا بالأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي ، مع أنهم أقلية ، فقد كانت نسبتهم تساوي $\frac{٣١٨}{٢٠٤٨}$ أسقفًا . وجلس في وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي أن تصنعوا مما فيه قوام الدين . فباركوا الملك ، ووضعوا له أربعين كتابًا فيها السنن والشرائع .

واختارت الكنيسة المنتصرة من تلك الكتب والرسائل ما لايتعارض مع نزعتها ، ومنها أربعة الأناجيل ، فسلمت بها وجعلتها قانونية . ولم تكترث لما بينها من اضطراب وتناقض مادام ذلك لا يخالف المنزع العام الذي قصدته . رغم ما فيها من جهالة المؤلف الحقيقي وانقطاع السند وعدم العلم التام بالمترجم الحقيقي لبعضها ، ومبلغ أمانته وحرصه على الدين . ولو أنه كان لديها سند صحيح متصل لما ضرها قول غيرها ولا طعنه . ثم أجبرت الناس على قبولها ، ورفضت ما يخالف نزعتها ، وحكمت ببطلانه وتحريم قراءته ، وأمرت بإتلافه وإحراقه . ولاحقت كل من يعارض ذلك ، وتم لها ما أرادت .

وهكذا اختفت مبادئ المسيح - عليه السلام - وتعاليم حوارييه ، وضاع التراث الذي خلفوه . وتم النصر لأفكار بولس، ولاسيما في مطلع القرن الرابع حيث أيدت القوة الرومانية هذا الاتجاه ، وألزمت الناس باتباعه ، وحاربت ما سواه [1] .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٥٢ - ١٥٥ ، الإنجيل والصليب ص ١٤ ، إظهار =

وقد قرر بعض الباحثين أن الأناجيل والأبحاث التي تعارض اتجاه بولس قد فنيت ، وفي مقدمتها إنجيل المسيح وما كتبه الحواريون ، وأن ما لم تظهر فيه معارضة لأفكار بولس كإنجيلي متىٰ ومرقس بقي لكن بعد إدخال تغييرات عليه من قبل مريدي بولس وأنصاره حذفًا وزيادة ، وبخاصة عند ترجمة إنجيل متى من الآرامية إلى اليونانية ، مع جهالة المترجم وفقدان الأصل . أما إنجيلا لوقا ويوحنا والرسائل جميعها فهي منسوبة إلى بولس وأتباعه في الحقيقة . بل إن الجزء الأكبر من مصادر النصرانية المعترف بها ذو صلة كبيرة بقلم بولس ومريديه . وما سوى ذلك قليل . ويبدو أن يدًا لعبت به أيضًا ، فتركته لا يؤيد ولا يعارض آراء بولس كما في رسالة يعقوب وإنجيل متىٰ[1] .

ومن الجدير بالذكر أن أربعة الأناجيل التي اختارتها الكنيسة كانت مجهولة لدى النصارىٰ ، ولم تعرف إلا في عصر

= الحق ١ / ٦١ ، المسيحية لأحمد ص ١١٩ ، الأجوبة الفاخرة ص ١١٢ .

(١) المسيحية لأحمد ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

متأخر ، حتى قيل : إنه لم يكن معترفًا بها قبل إقرار الكنيسة لها .

وعلى كل حال ، فإن أولى كتابات العصر النصراني لا تشير إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جدًا . والشهادات المتعلقة بوجود مجموعة الكتابات الإنجيلية إنما تظهر في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م ، ولا توجد أية شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل ذلك . وهذه الملاحظات تعرضها مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشور عام ١٩٧٢ م [١] .

ويذكر بعض المؤرخين أنه لا توجد أية إشارة إلى أناجيل متى ومرقس ولوقا قبل آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث . وأول من ذكرها القديس (إرينيوس) عام ٢٠٩ م وأورد بعض الدلائل على عددها ، ثم قرر أنها مجرد صور لإنجيل واحد . وجاء من بعده القديس (كليمنس) الإسكندري عام ٢١٦ م فاجتهد اجتهادًا عظيمًا في هذا الباب ،

---

(١) دراسة لموريس ص ٩٩ .

فقرر أن هذه الأربعة واجبة التسليم وأن على النصراني أن يسلم بها (١).

وإن الباحث ليتساءل : أهذه الأناجيل الأربعة المسطورة اليوم هي نفسها التي جاء ذكرها على لسان ذينك الرجلين ؟ أم اعتراها التغيير أيضًا ؟ .

يقول القَس العراقي الآشوري عبد الأحد داود (٢) : إن هذه السبعة والعشرين سفرًا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كُتاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية وحكمه سنة ٣٢٥ م . لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور .. وهكذا كان العالم النصراني محرومًا من العهد الجديد مدة (٣٢٥) سنة .

وقال أيضًا : يجب التفكير في دين بقي من تاريخ نشأته

(١) إظهار الحق ١ / ٦١ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٩ و١٤٤ ، الاسفار المقدسة لعلي ص ٩٣ ـ ٩٤ و١١٠ ، دراسة لموريس ص ٧٥ المسيحية لأحمد ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

(٢) في كتابه الإنجيل والصليب ص ١٤ وص ١٩ .

إلى (٣٢٥) سنة بغير كتاب مقدس ، كم يتأثر بالعقائد المتولدة من المنابع الخارجية ؟ وكيف يختل نظامه ، ويُكدر صفاؤه الأصلي بالخرافات والروايات الكاذبة اهـ .

وصفوة القول : إنه من الواضح أن هناك أناجيل ورسائل فنيت أو أُتلفت إبان الاضطهادات الأولى ، لكن بقي قسم منه أخفاها أصحابها ، ثم أخرجها عندما استقر أمر النصارىٰ . ولا ريب في أن بعضها قُدم لمجمع نيقية ، ولكن المجمع انحرف ، وأصبحت الغلبة للأقلية التي تقول بألوهية المسيح . وعلى هذا الأساس قرر مصير الأناجيل . وما اكتُشف بجوار البحر الميت خير دليل على ذلك .

عُرضة كتابهم المقدس للتحريف :

إن كون الإنجيل رسالة شفوية صرفة ، ذكرها المسيح ـ عليه السلام ـ أمام تلاميذه ـ كما يقولون ـ ثم كتبها التلاميذ في ظلمة السرية إبان المحن ، يجعله عُرضة للتحريف القصدي وغير القصدي .

قال أ. كولمان في كتابه (العهد الجديد) [١] : إن المبشرين ـ أي كُتاب الأناجيل ـ لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثبتت التراث الشفوي ؛ فقد بقي الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين عامًا في شكله الشفوي . وهذا التراث الشفوي قد نقل أساسًا أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشرون كل على طريقته ، وبحسب شخصيته واهتماماته الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد اهـ .

إنه لم يكن أحد من قدمائهم يحفظ الإنجيل كله تلقيًا عن الحواريين بالأسانيد الصحيحة ، فضلا عن أن يحفظه أهل التواتر . وليس فيهم بالأمس ولا اليوم من يحفظ الكتاب المقدس بعهديه ، كحفظ عوام المسلمين لألفاظ القرآن الكريم ، ونقلهم لها ولقراءاتها بالتواتر حفظًا وكتابة ، لاسيا وأن كِتابهم مترجم ، وقد ضاع الأصل . فهل يحفظه في لغة من يحصل بهم التواتر ؟ ! وكيف يحفظونه وهو عند علمائهم دون العامة ،

---

(١) انظر دراسة لموريس بوكاي ص ٧٦ ـ ٧٧ .

وإنما يتلون بعضه قراءةً في المناسبات ؟ !

ذكر القَس روجي في كتابه (مقدمة إلى الإنجيل)[١] : إنه في عصور ليست بعيدة تمامًا كان أغلبية النصارى لا يعرفون من الإنجيل إلا مقاطع مختارة تقرأ عند القداس أو المواعظ ، كما أن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل . ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله . إن قراءة الأناجيل بشكل كامل لم يكن أمرًا سائدًا فيما عدا بعض المناسبات الدينية اهـ .

والأدهى من ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تمنع العامة من قراءة الكتب المقدسة وتقول : إن الشر الناتج عن قراءتها أكثر من الخير . ولما ظهرت فرقة البروتستانت ، وأظهرت هذه الكتب ظهر ما ظهر .. ولذلك جاء في قانون المجمع التريدينتي الذي ثبَّته البابا بعد نهاية المجمع ما يلي : إذا كان ظاهرًا من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤون في الكتب باللفظ الدارج ، فالشر الناتج من ذلك أكثر من الخير .

---

(١) دراسة لموريس ص ٦٥ .

فلأجل هذا ، ليكن للأسقف أو القاضي في بيت التفتيش سلطان حسب تمييزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف ليأذن في قراءة الكتابات باللفظ الدارج لأولئك الذين يظن أنهم يستفيدون .

ويجب أن يكون الكتاب مستخرجًا من معلم كاثوليكي ، والإذن المعطى بخط اليد ، وإن تجاسر أحد فقرأ أو أخذ هذا الكتاب بدون إذن ، فلا يسمح له بحل خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم اهـ .

ومن المعلوم أنه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ ، ولا سيما إذا كان لا يطلع عليها إلا الخواص ، وهي غير محفوظة غيبًا . فأهل الكتاب لا يحفظون كتابهم عن ظهر قلب ، وقل أن تجد بين اليهود من يحفظ التوراة غيبًا فضلاً عن أن يحفظ معها أسفار الأنبياء . أما النصارى فلا أحد فيهم يحفظ الكتاب المقدس بعهديه . ولو عدمت نسخهم من الوجود لم يكن لديهم نقل صحيح باللفظ ، بخلاف القرآن الكريم ، فإن كثيرًا من المسلمين يحفظونه عن

ظهر قلب كاملاً ، فضلاً عمن يحفظ بعضه . ولو عدمت المصاحف كلها من الأرض لم يقدح ذلك فيما حفظوه . وهم يتلون كتاب ربهم من الصدور والسطور آناء الليل وأطراف النهار ، ولا سيما في رمضان . لذا كان تحريفه ممتنعًا وغيره من الكتب عرضة لذلك [١] .

* * *

---

(١) الجواب الصحيح ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩ و٢ / ٨ و١٣ و٢٠ و٢٣ و٢٥ و٢٢١ - ٢٢٢ ، هداية الحيارى ص ٥٨٩ ، إظهار الحق ٢ / ٥٤

مدى صحة العهد الجديد

تبين مما تقدم أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يخلف رسالة مكتوبة في اعتقاد النصارىٰ ، وأنه لم يؤمن به حال وجوده في الأرض سوى عشرين ومائة رجل وقليل من النسوة ، كانوا يكتمون إيمانهم مخافة الأخذ والتعذيب . وبعد رفعه إلى السماء أحاقت بأتباعه أشد المحن ، حتى كادت الدعوة تفنى . فتفرقوا في الأرض يدعون إلى دينه سرًّا . واستمر الاضطهاد إلىٰ القرن الرابع . وقد وقع بهم من النكبات كما يذكرون ما يذهب بالعقل وينسىٰ معه المرء كل شيء . الأمر الذي أدىٰ إلى ضياع كثير مما كتبه الحواريون وظهور أناجيل كثيرة مختلفة ، ورسائل أكثر متضاربة .

وأربعة الأناجيل التي يعترف بها النصارىٰ والرسائل التي يرونها قانونية ، إنما ظهرت بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م . وقبل ذلك لم تكن معروفة أو مسلّما بتقديسها . وهم يقولون إنها كتبت في آخر القرن الأول . فبين آخر كتبهم تدوينًا وبين الاعتراف به أكثر من ٢٢٥ سنة ، هذا ويظهر ضعف العهد

الجديد من النقاط التالية :

١ ـ عدم وجود سند لأسفاره :

إن أخبار التاريخ لا تثبت إلا بأحد أمرين : إما بالرواة واتصال السند ، أو بالآثار التي ينقب عنها العلماء ، فيحققون ويوازنون ويتعرفون . فهل ثبت العهد الجديد بواحد من هذين الأمرين ؟

ليس لدىٰ النصارىٰ نسخة واحدة بخط تلميذ من تلميذ المسيح مطلقًا . بل إن الإنجيل الأول المنسوب إلىٰ متى ، ليس لديهم منه إلا الترجمة اليونانية ، مع أنه كُتب أولاً باللغة الآرامية ، ولا يعرفون من هو المترجم . وهم يقرون بعدم وجود السند الكامل المتصل من الرواة المعروفين إلى من تنسب إليهم الأناجيل والرسائل ، وإنما يأخذون بالظن ؛ فيقولون لعله فلان أو فلان ، ويتمسكون بقرائن لا تجدي مثل اتفاق هذه الكتب في بعض مضامينها ، وشهادة بعض تابعي الحواريين بوجود بعضها في القرن الأول والثاني ، ثم اشتهارها في أواخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث ، وهم يعتذرون

عن ذلك بأنها كتبت في ظلام السرية بسبب الاضطهادات التي حلت بأسلافهم ، ويُحسِّنون الظن بهم . والسند المتنازع عليه بيننا وبينهم هو السند المتصل الجامع لشروط الرواية . وهو ما يرويه العدل ـ أي الثقة المعروف بصدقه واتزانه ـ الضابط لما يسمع عن طريق الحفظ أو الكتابة ، عن آخر مثله إلى انتهاء السند ، أن الكتاب الفلاني من تصنيف الحواري فلان ؛ سمعت هذا الكتاب كله أو بعضه من كذا إلى كذا منه مشافهة ، أو قرأته عليه وهو يسمع ، أو أقر عندي أن الكتاب الفلاني من تصنيفه . ولا وجود لمثل هذا السند أو شبهه عندهم البتة [1] .

قال المحقق البروتستانتي هورن في تفسيره : إن الحالات التي وصلت إلينا في زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء وغير محددة ، لا توصلنا إلى أمر معين . والقدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، ثم قَبِل الذين جاؤوا من بعدهم ما كتبوه تعظيمًا لهم . وهذه الروايات

---

(١) الجواب الصحيح ٢ / ١٤ ، إظهار الحق ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى آخر ، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة [١] .

٢ ـ جهالة مصنفيها :

يعتقد غالبية النصارى أن كُتاب الأناجيل شهود عيان للمسيح عليه السلام وسبب ذلك أن طبعات العهد الجديد القديمة والحديثة تحتوي على مقدمات وتعليقات تهدف إلى نشر هذه الأفكار بين العامة . والحق والواقع أن اثنين ممن تُنسب لهم الأناجيل لم يريا المسيح أصلاً ، وهما لوقا ومرقس . أما الآخران وهما متى ويوحنا فمختلف في رؤيتهما له . والمحققون يرجحون عدم الرؤية بسبب عبارات وردت في الكتابين وأمور أخرى لا مجال لذكرها في هذه العجالة وليس لدى النصارى نسخة واحدة بخط تلميذ من التلاميذ كما سلف [٢] .

وقد توصل الأب كانينجر في دراسته وبحثه عن القيامة إلى أنه ما من كاتب للعهد الجديد يستطيع أن ينسب لنفسه صفة

(١) إظهار الحق ١ / ٧٩ و٨٢ .

(٢) دراسة لموريس ص ٧٠ ، الجواب الصحيح ٢ / ١١ .

كونه شاهدًا معاينًا لقيامة المسيح سوى بولس [١] .

وقال العالم فاستس : إن العهد الجديد ما صنّفه المسيح ولا الحواريّون ، بل صنّفه رجل مجهول الاسم ، ونُسب إلى الحواريين ورفاقهم [٢] .

وقال المفسر لاردنر [٣] : حكم علىٰ الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر الملك أناسطيثوس في الأيام التي كان فيها مسّالة حاكمًا علىٰ القسطنطينية ، فصُححت مرة أخرى .

أما العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل النصرانية في دائرة المعارف الفرنسية فيذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤكد أن هذه الأناجيل كتبها أشخاص غير الحواريين والتابعين الذين تنسب إليهم . وقد تبين لبعض الباحثين أنه لا يُعرف متى كتبت ، ولا بأي لغة أُلفت ، وأن

---

(١) دراسة لموريس ص ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) إظهار الحق ص ١٠٣ طبعة قطر .

(٣) في ٥ / ١٢٤ من تفسيره انظر إظهار الحق ١ / ٢٩٦ .

مؤلفيها غير معروفين (١) .

٣ ـ اضطراب متنها :

يعتقد النصارىٰ أن أربعة الأناجيل تتفق في الجوهر والعقيدة والتشريع والأخلاق ، وإن كانت تختلف في بعض التفاصيل . ويزعمون أنها إنجيل واحد في أربعة صور ، لكن هيهات ، فمن اطلع علىٰ أسفار العهد الجديد ورسائله وجده كتابًا غير متجانس ، لا يمثل وجهة نظر تسوده من أوله إلى آخره ، بل هو أشتات مجمعة اضطربت أقوال مؤلفيها وتضاربت ؛ فبعضهم يذكر في إنجيله حالات وعجائب لا يذكرها غيره ، وكثيرًا ما يُروىٰ الخبر الواحد في إنجيل ما على نحو يخالف غيره أو يزيد عليه أو ينقص عنه كما سنرى في النماذج قريبًا . من أجل ذلك قسم الباحثون أربعة الأناجيل إلىٰ مجموعتين هما :

ا ـ الأناجيل المتوازية : وهي متى ومرقس ولوقا وسُميت بذلك لتقاربها من بعضها نوعًا ما ـ بخلاف الإنجيل

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص٨٦ ـ ٩٢ ، تفسير المنار ٦ / ٢٩٣ .

الرابع فإنه يختلف عنها في غايته . ومع ذلك فإن كل واحد منها يروي سيرة المسيح ـ عليه السلام ـ على نحو يختلف عن غيره في نقاط كثيرة ، كما أن إنجيلي متى ولوقا يذكران أمورًا لا وجود لها في إنجيل مرقس . ومن هنا نشأ ما يسمى بالمشكلة المتوازية . وقد بذلت عدة محاولات لحلها ، لكن دون جدوى [1] .

وقد أشار أ. كولمان في (العهد الجديد) [2] إلى أن لوقا يحذف من روايته أكثر الفقرات اليهودية عند مرقس ، ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود وعلاقاته الطيبة مع السامريين ، بينما ذكر متى أن المسيح طلب من الحواريين أن يجتنبوا السامريين . وبيّن كولمان أيضًا أن في إنجيل لوقا روايات لا وجود لها في الأناجيل الأخرى .

أما الترجمة المسكونية [3] فقد أشارت إلى أن شتى الروايات

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٨٧ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ ، دراسة لموريس ص ٨٩ .

(٢) ص ١٨ انظر دراسة لموريس ص ٨٨ و١١٨

(٣) ص ١٨١ فما بعدها . انظر دراسة لموريس ص ٨٨ و١١٨

في لوقا تحتوي على اختلافات هامة مع روايات سابقَيْه .

ب ـ إنجيل يوحنا : ويختلف عن الأناجيل السابقة اختلافًا هامًّا من حيث ترتيب الموضوعات والروايات والخطب واختيارها ، كما أن ثمة اختلافًا في الأسلوب والجغرافيا والتعاقب الزمني للأحداث . أضف إلى ذلك وجود روايات لم يوردها غيره ، وإهمال فقرات مذكورة في غيره . وقد أشارت الترجمة المسكونية إلى ذلك [١] .

وعلى سبيل المثال فإن تأسيس القربان المقدس في أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين ورد في الأناجيل الثلاثة الأولى ، ولم يُشر إنجيل يوحنا إليه مطلقًا . فهل ضاعت هذه الفقرة منه ؟ ! كما أن إنجيل يوحنا هو الوحيد الذي تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا لأُلوهية المسيح [٢] .

* * *

---

(١) ص ٢٨٣ . انظر دراسة لموريس ص ٩٢ ، مجلة الجامعة ص ١٥٣ و١٥٨ .

(٢) دراسة لموريس ص ١١٨ ـ ١١٩ و٩٠ و٩٣ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ .

نماذج من التناقض والتحريف في الأناجيل

تختلف الأناجيل عن بعضها اختلافًا كثيرًا من حيث اللفظ والمعنىٰ زيادة ونقصانًا وتعارضًا ، فهي كتب مضطربة بعيدة عن التآلف . ومن وقف علىٰ الأناجيل ثبت له اضطرابها وتعارضها من ثلاثة وجوه : تعارضها مع العهد القديم ، وتعارضها فيما بينها ومع نفسها ، وتعارضها مع الحقائق والوقائع في العالم الخارجي . وإليك نماذج من ذلك :

ا ـ نماذج من تعارض الأناجيل مع العهد القديم :

تعارض الأناجيل مع العهد القديم كثير ومتنوع ؛ فما أكثر ما ينقل كُتاب الأناجيل نصوصًا من العهد القديم ، فينسبونها لسفر أو نبي ، وهي لغيره ، أو ليس لها وجود . وكثيرًا ما يُشوّهون النص فلا يكتبونه علىٰ وجهه الصحيح . وإليكم نماذج من ذلك :

١ ـ جاء في إنجيل متى ١٢ / ٣ ـ ٤ ومرقس ٢ / ٢٥ ـ ٢٦ ولوقا ٦ / ٣ ـ ٤ : « أما قرأتم ما عمل داود عندما جاع هو

ورجـالــه ؟ كيف دخــل بيت الله ـ وزاد مرقس : في أيــام أبياثار رئيس الكهنـة ـ وكيف أكلوا خبز القربـان ، وأكْلـه لا يحل لهم ، بل للكهنة وحدهم » .

وبمقارنة هذا الكلام مع البابين الحـادي والعشرين والثـاني والعشرين من سفر صموئيل الأول يظهر الخطآن التاليان :

ـ قـول الثـلاثـة : أكل هـو ورجـالـه غلــط لأن داود كان وحده في ذلك الوقت .

ـ قول مرقس : في أيام أبياثار رئيس الكهنـة غلـط آخر ، لأن رئيس الكهنــة في تلــك الأيــام كان (أخيمالــك) لا (أبياثـار) . كما يظهر من الفقرتين ٢٢ / ٢٠ ـ ٢٣ أن أخيمالـك هو عم أبياثار .

وقـد أقر علمـاء النصـارىٰ بهذا : قـال وارد الكاثـوليكي في كتابه المسمىٰ (الأغلاط) [١] :

« كتـب مستر جويل في كتـابـه أن مرقس غلـط ، فكتب

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٦٨ .

أبيـاثـار مـوضـع أخيالـك ، لأن داود كان منفردًا في ذلـك الوقت ، ولم يكن معه أحد .

٢ ـ جـــاء في متى ١٤ / ٣ وفي مرقس ٦ / ١٧ : « وكان هيرودس أمسك يوحنا ، وقيده وسجنه من أجل هيروديّة التي تزوجها ، وهي امرأة أخيه فيلُبس » .

وهذا غلط لأن اسم زوج هيروديّة هو هيرودس أيضًا ، لا فيلبس كما صرح المؤرخ يوسيفـوس في البـاب الخـامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه .

وقد أسقط مترجمو الطبعة العربية عام ١٨٢١ و ١٨٤٤ م لفظ (فيلبس) ووقفوا عند كلمة (أخيه) ، لكن لم يتبعهم أحد في ذلك [١] .

٣ ـ جاء في إنجيل متى ٢٧ / ٣٥ ويوحنا ١٩ / ٢٣ ـ ٢٤ : « فصلبوه واقترعوا على ثيابه واقتسموها ، فتم ما قال النبي ـ وعند يوحنا : الكتاب ـ: اقتسموا ثيابي ، وعلى قميصي اقترعوا ».

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٥٨ .

فهذه العبارة : « فتم ما قال النبي .. » ملحقة بالنص كما قال محققوهم :

فقد بين هورن في تفسيره [١] وأثبت بالأدلة القاطعة أنها ملحقة ، ثم قال : ولقد أحسن كريسباخ في تركها بعد ما ثبت لديه أنها كذب قطعًا » .

وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره في ذيل هذه الفقرة [٢] : « لابد من ترك هذه العبارة ، لأنها ليست جزءًا من المتن ، وقد تركتها النسخ الصحيحة ، وكذلك التراجم إلا شذوذًا ، كما تركها عدد غير محصور من القدماء . وصرح بعضهم بأنها أُخذت من إنجيل يوحنا فوضعت في متى .

أما مرقس في ١٥ / ٢٤ ولوقا في ٢٣ / ٣٤ ، فقد ذكرا القسمة والقرعة ، ولم يَنْسبا شيئًا لنبي أو سِفر » .

---

(١) ٢ / ٢٣٠ / ٢٣١ - انظر إظهار الحق ١ / ٢٥٧ .

(٢) انظر إظهار الحق ١ / ٢٥٧

ب ـ نماذج من تعارض الأناجيل فيما بينها ومع نفسها :

١ ـ يُعلم من الباب الثاني في إنجيل متىٰ أن أبوي المسيح ـ أي مريم ويوسف النجار[١] ـ كانا يقيمان في (بيت لحم) وأن هذه الإقامة دامت قرابة سنتين حيث جاء المجوس إلى هناك ، وقدموا لأمه هدية ، ثم ذهب به أبواه إلى مصر خوفًا عليه من الملك هيرودس ، وأقاما هناك مدة حياة الملك ، وبعد موته رجعا فأقاما في الناصرة .

ويعلم من كلام لوقا أن أبوي المسيح ذهبا إلى أورشليم بعد أن أتمت مريم نفاسها ، فقدما الذبيحة ، ثم رجعا إلى الناصرة فأقاما فيها . وكانا يذهبان إلى أورشليم في أيام العيد كل سنة . فأين أقاما مع المسيح خلال السنتين الأوليين من حياته ؟ وهل هربوا إلى مصر ؟ [٢] .

---

(١) لم أتعرض هنا لاختلافها في نسب يوسف وجعله أبًا للمسيح كما يزعمون ، لأني سأذكر ذلك في الكتاب الثاني (بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ) .

(٢) إظهار الحق ١ / ١٠٠ ، دراسة لموريس ص ٨٨ .

٢ ـ ذكر متى في ١٠ / ٢ ومرقس في ٣ / ١٦ ولوقا في ٦ / ٤ أسماء التلاميذ الاثني عشر المختارين .

وقد اتفقوا في أسماء أحد عشر منهم وهم : سمعان الذي سماه المسيح بطرس ، وأخوه أندراوس ، ويعقوب بن زبدي ، وأخوه يوحنا بن زبدي ـ وسماها : (وانرجس) أي ابني الرعد ـ ، فيلُّبس ، برتولماوس ، توما ، متى جابي الضرائب ، يعقوب بن حلفي ، سمعان الوطني الغيور ، يهوذا الإسخريوطي .

واختلفوا في الثاني عشر : قال متى : لباوس الملقب بتداوس . وقال مرقس : تداوس .

لكن قال لوقا : يهوذا بن يعقوب .

ومن الملاحظ أيضًا أن لوقا ويوحنا أوردا اثنين باسم يهوذا : يهوذا الإسخريوطي ويهوذا بن يعقوب . ولم يظهر يهوذا بن يعقوب في كلٍّ من متى ومرقس .

أما في سفر الأعمال فقد ذكر الكاتب في ١ / ١٢ أحد عشر

اسمًا بدون ذكر يهوذا الإسخريوطي . والحادي عشر هو يهوذا بن يعقوب . ثم ذكر في ١ / ٢١ ـ ٢٦ أنهم اجتمعوا لاختيار خَلَف ليهوذا الإسخريوطي ، فاختاروا اثنين ، ثم أقرعوا بينهما ، فوقعت القرعة على متياس .

وقد علق على ذلك جون كيك في تفسيره لإنجيل لوقا فقال : عندما كتب لوقا الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ [١] .

٣ ـ من قرأ قصة المرأة التي سكبت الطيب على المسيح ـ عليه السلام ـ في أربعة الأناجيل وجد فيها اختلافًا من الوجوه التالية :

(ا) صرح مرقس في ١٤ / ١ بأن هذا الأمر كان قبل الفصح وعيد الفطير بيومين . وذكر يوحنا في ١٢ / ١ أنه كان قبل الفصح بستة أيام . وسكت متى ولوقا عن تحديد الزمان .

---

(١) إظهار الحق ١ / ١١٧ ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ص ١٦٥ ندوة الخرطوم .

(ب) جعل متى في ٢٦ / ٦ ومرقس في ١٤ / ٣ هذه الحادثة في بيت سمعان الأبرص ، وكذلك لوقا في ٧ / ٢٦ فإنه جعلها في بيت أحد الفريسيين الذي دعاه إلى طعام ، ثم ذكر فيما بعد أن اسمه سمعان .

أما يوحنا فقد جعلها في ١٢ / ١ ـ ٢ في بيت صديقه (لعازر) الذي أقامه من بين الأموات .

(جـ) المرأة التي وضعت الطيب على قدمي المسيح هي في إنجيل لوقا ٧ / ٣٧ : امرأة خاطئة ، علمت بوجوده في بيت الفريسي ، فجاءت ومعها قارورة الطيب . وفي إنجيل يوحنا ١٢ / ٣ هي مريم زوجة صديقه . أما متى ومرقس فقد سكتا ، ولم يذكرا من هي ولا من أين جاءت .

(د) جعل متى في ٢٦ / ٧ ومرقس في ١٤ / ٣ إفاضة الطيب على رأس المسيح . وجعلها يوحنا في ١٢ / ٣ على القدمين . أما لوقا في ٧ / ٣٨ فقد ذكر أنها وقفت خلفه تبكي عند قدميه ، فتبلها بدموعها ، وتمسحها بشعرها ، وتقبلها وتدهنها بالطيب ، فهو دهن عنده ، وليس سكبًا أو إفراغًا .

(هـ) ذكر يوحنا في ١٢ / ٥ أن ثمن الطيب ثلاثمائة دينار ، وبالغ مرقس في ١٤ / ٥ فقال : أكثر من ثلاثمائة دينار . وأبهم متى في ٢٦ / ٧ فقال : غالي الثمن . ولم يتعرض لوقا لذلك .

(و) أفاد متى في ٢٦ / ٨ أن المعترضين على المرأة هم التلاميذ . وذكر يوحنا في ١٢ / ٤ أنه كان واحدًا ، وهو يهوذا ، وأبهم مرقس في ١٤ / ٤ فذكر أنهم ناس من الحاضرين . أما لوقا فلم يتعرض لذلك .

ومن الجدير بالذكر أن قصة دهن امرأة بالطيب لإله متجسد بناسوت وثنية قديمة ؛ قال ريس في كتابه (تاريخ الهند) [١] : وأُتي إلى (كرشنة) بامرأة فقيرة مقعدة ، ومعها إناء فيه طيب وزيت وزعفران وغير ذلك ، فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية ، وسكبت الباقي على رأسه » فهل يرجح هذا قول متى ومرقس بأن إفاضة الطيب كانت على الرأس ، لا على القدمين ؟ .

---

(١) ٢ / ٣٢٠ ، انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

٤ ـ جاء في إنجيل متى ٣ / ٤ : « وكان يوحنا يلبس ثوبًا من وبر الجمال ، وعلى وسطه حزام من جلد ، ويقتات من الجراد والعسل البري » . كما ورد نحو ذلك في مرقس ١ / ٦ .

وجاء في متى ١١ / ١٨ : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فقالوا : فيه شيطان » .

فهل كان يأكل أولا ؟ ! .

٥ ـ جاء في متى ١٦ / ١٨ ـ ١٩ : أن المسيح قال لبطرس : « وأنا أقول لك : أنت صخر ، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي ، وقوات الجحيم لن تقوى عليك ، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فما تربطه في الأرض يكون مربوطًا في السماء ، وما تحله في الأرض يكون محلولاً في السماء » .

وجاء في متى ١٦ / ٢٣ أيضًا أنه قال له : « ابتعد عني يا شيطان ، أنت عقبة في طريقي . لأن أفكارك هذه أفكار البشر ، لا أفكار الله » .

فكيف يوليه أمرًا لا يكون إلا لله وحده ، ثم يصفه بأنه شيطان وأنه عقبة في طريقه ؟ ! هل وقع نسخ لتغير الحال ؟ .

ج ـ نماذج من تعارض الأناجيل مع الحقائق والوقائع :

١ ـ جاء في لوقا ٢ / ١ ـ ٢ : « وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة . وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية » .

٢ / ٤ ـ ٥ : « فصعد يوسف أيضًا .. ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة ، وهي حبلى » .

٢ / ٦ ـ ٧ : « وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر .. » .

وهذا غلط من وجهين :

ا ـ لم يذكر أحد من قدماء المؤرخين اليونانيين الذين كانوا معاصرين للوقا ، أو متقدمين عليه قليلاً ، هذا الإحصاء

المتقدم على ولادة المسيح ـ عليه السلام ـ وإذا وجد من ذكره من المؤرخين المتأخرين عن لوقا في الزمن ، فلا تعويل على كلامه ، لأنه ينقل عن لوقا .

ب ـ إن كيرونيوس كان حاكمًا على سورية بعد ولادة المسيح بخمس عشرة سنة . فكيف يكون الإحصاء في أيامه ؟ وكيف تكون ولادة المسيح في عهده ؟! .

ومما يدل على ذلك أن كاتب إنجيل لوقا ذكر في ١ / ٥ أنه كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيّا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها أليصابات ..

ثم ذكر في ١ / ٢٦ أنه حين كان أليصابات في شهرها السادس من الحمل أرسل الله ملاكه جبرائيل إلى العذراء مريم .

ولما عجز بعض النصارى عن الإجابة عن هذا ، حكم بأن الجملة الثانية « وهذا الاكتتاب .. » ملحقة بالنص ، وليست أصلية [1] .

---

(١) إظهار الحق ص ١٦٧ طبعة قطر .

٢ ـ جاء في لوقا ٦ / ٤٠ : « ليس التلميذ أفضل معلمه ، بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه » .

وهذا غلط ظاهر ، لأن الكثيرين من التلاميذ صاروا أفضل من معلميهم بعد إكمال علمهم ، وكم من تلميذ فاق أستاذه . فلا يصح إطلاق العبارة هكذا .

٣ ـ جاء في إنجيل يوحنا ١ / ٥١ : « وقال لهم : الحقّ الحقّ أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » .

وهذا غير صحيح ، لأن هذا القول كان بعد التعميد ، وبعد نزول الروح القدس . ولم ير أحد بعدهما السماء مفتوحة والملائكة صاعدة نازلة على المسيح ابن الإنسان . والوعد كان بالأمرين معًا .

٤ ـ ذكر كُتاب الأناجيل أن المسيح ـ عليه السلام ـ تنبأ بأن نهاية العالم وعودته ستكون في القرن الأول الميلادي . وقد سيطرت هذه الفكرة على مؤلفي العهد الجديد ، ولاسيما كاتب إنجيل متى ، فقد كان أكثرهم حرصًا على تأكيدها :

جاء في إنجيل متى ٢٤ / ٣ : « وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

٢٤ / ١٥ : فإذا رأيتم نجاسة الخراب التي تكلم عنها النبي دانيال قائمة في المكان المقدس فليهرب إلى الجبال من كان في اليهودية .

٢٤ / ٢٩ ـ ٣٥ : وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام تظلم الشمس .. ويرى الناس ابن الإنسان آتيًا على سحاب في كل عزة وجلال .. الحق أقول لكم : لن ينقضي هذا الجيل حتى يتم هذا كله .

وجاء في ١٠ / ٢٣ منه أيضًا : الحق أقول لكم : لن تنهوا عملكم في مدن إسرائيل كلها حتى يجيء ابن الإنسان .

وفي ١٦ / ٢٧ ـ ٢٨ منه : سيجيء ابن الإنسان في مجد أبيه مع ملائكته فيجازي كل واحد حسب أعماله . الحق أقول لكم : في الحاضرين هنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا مجيء ابن الإنسان في ملكوته .

وقد ورد نحو ذلك أيضًا في مرقس ١٣ / ٣ ـ ٤ و١٣ / ١٤ و١٣ / ٢٤ ـ ٢٦ و١٣ / ٣٠ ـ ٣١ وفي لوقا ٢١ / ٥ ـ ٧ و٢١ / ٢٠ ـ ٢٢ و٢١ / ٢٥ ـ ٢٨ .

وبناء علىٰ هذه الأقوال فإن قدماء النصارىٰ كانوا يعتقدون أن نزول المسيح للدينونة قريب وأنهم في الزمن الأخير . بل منهم من يعتقد أن يوحنا لا يموت قبل أن تقوم القيامة ، لأن المسيح قال لبطرس في حق يوحنا : « إن كنت أشاء أن يبقىٰ حتىٰ أجيء ، فما ذلك » . وقد اعترف علماؤهم بأن هذه كانت عقيدتهم المسيطرة عليهم . ويظهر ذلك من رسالة يعقوب ٥ / ٧ ورسالة بطرس الأولىٰ ٤ / ٧ ورسالة يوحنا الأولىٰ ٢ / ١٨ والرسالة الأولىٰ إلى تسالونيكي ٤ / ١٥ ـ ١٧ والرسالة الأولى إلى فيلِّبس ٤ / ٥ والرسالة الأولىٰ إلى كورنتثوس ١٠ / ١١ و١٥ / ٥١ ـ ٥٢ ورؤيا يوحنا ١٣ / ٦٥ ـ ٦٨ و٢٢ / ٧ و١٠ و٣٠ .

وقد خرب الهيكل خرابًا تامًّا ولم ينزل ابن الإنسان مع أن نزوله يكون في الحال بدون تراخ ، وهاهم تلاميذ المسيح قد ذاقوا الموت جميعًا وأصبحوا عظامًا نخرة ومضى ذلك القرن ولم

يأت ابن الإنسان في ملكوته للدينونة .

ولا يمكن حمل الكلام على قيامته بعد الصلب في زعمهم . لأنه لم يُر آتيًا على السحاب ، ولم يحاسب أحدًا على الإطلاق . ولذلك قال جون كونتن : « ومن الواضح أن شيئًا من هذا لم يحدث كما توقعه متى » [١] .

ويظهر - والله أعلم - أن مراد المسيح بذلك خراب الهيكل والانتقام من اليهود ، لكن الكلام فُهم فهمًا خاطئًا ، ثم حرف وكتب بمقتضى هذا الفهم .

قال الأب بولس إلياس في كتابه (يسوع المسيح) [٢] : « من المؤكد أن مرقس كتب إنجيله قبل سنة ٧٠ م أي قبل خراب أورشليم في عهد تيطس . لأنه لو كان كتبه بعد هذا التاريخ لما كان أخطأ في فهم نبوءة المسيح عن خراب أورشليم كمتى ولوقا اللذين ظنا أن المسيح يقصد من نبوءته هذه

(١) إظهار الحق ١ / ١٥٤ - ١٥٧ و١٨٤ - ١٨٦ ، مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٦ و١٦٧ - ١٦٨ ، الأجوبة الفاخرة ص ٢٦ .

(٢) ص ٢٥ - ٢٦ ، انظر المسيحية لأحمد ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

خراب العالم والدينونة الأخيرة ، لا خراب أورشليم ، ولكان أصلح خطأه .. وهذا دليل على أن الإنجيليين رددوا أقوال المسيح على علاتها من غير أن يفهموها في بعض الأحايين » .

وصفوة القول : إن هذه النماذج غيض من فيض مما فيها من اضطراب وتنافر ومخالفات للحقائق والوقائع والتاريخ . مما يؤدي إلى سقوطها كلها . ولا يمكن الادعاء البتة أنها كتبت بإلهام الوحي . كما لا يمكن أيضًا أن تُقارن أسفار العهد القديم أو الجديد أدنى مقارنة بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية ، حتى ولا بكتب المغازي والسِّير التي ربما تساهل بعض العلماء في شروط صحة نقلها وتوثيق رواتها ما لم تكن مضطربة لأنها تُروى للعبرة والاتعاظ ، لا لأخذ الأحكام الشرعية . أما أسفار العهدين فلا سند لها ولا ما يشبهه ، ولا يُعرف كتابها على وجه راجح ، وهي مضطربة أشد الاضطراب كما ظهر . وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

*   *   *

أهم المصادر والمراجع

ا ـ القرآن وعلومه :

١ ـ تفسير الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المطبعة اليمنية ، ونسخة أخرى بتحقيق محمود محمد شاكر طبعتها دار المعرفة .

٢ ـ الكشاف للزمخشري طبعة دار المعرفة .

٣ ـ الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م نشرته وزارة الأوقاف في الكويت .

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي الطبعة الثالثة مطبعة الحلبي .

٥ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم الطبعة الأولى عام ١٩٥٩ م مطبعة عيسى الحلبي .

٦ ـ مقدمتان في علوم القرآن تحقيق آرثر جفري .

٧ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني تحقيق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٩٧٢ م .

٨ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

٩ ـ المصاحف لأبي داود تحقيق آرثر جفري المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ الطبعة الأولىٰ .

١٠ ـ المقنع لأبي عمر عثمان الداني مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٠ م .

١١ ـ الصاحبي لأحمد فارس تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى الحلبي .

١٢ ـ النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع لإبراهيم المارغني المفتي المالكي بتونس وبهامشه رسائل أخرى . طبع ونشر دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء .

١٣ ـ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد الأول ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ .

١٤ ـ تفسير المنار محمد رشيد رضا طبعة دار المعرفة بيروت .

ب ـ السنة وعلومها :

١ ـ جامع الأصول لابن الأثير الجزري تحقيق عبد القادر الأرناؤوط طبعة عام ١٩٨٩ هـ و ١٩٦٩ م .

٢ ـ فتح الباري لابن حجر طبعة المطبعة السلفية .

٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي .

٤ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي الطبعة الأولى عام ١٣٨٠ هـ .

٥ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية جمعها عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة الرياض .

٦ ـ مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ .

جـ ـ الكتب التي تبحث في مناظرة أهل الكتاب :

١ ـ الأجوبة الفاخرة لشهاب الدين المالكي المعروف بالقرافي طبعة دار الكتب العلمية عام ١٩٨٦ م و ١٤٠٦ هـ بيروت لبنان .

٢ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية مطابع المجد التجارية .

٣ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارىٰ لابن قيم الجوزية . وقد طبع مع كتب أخرىٰ في مطبعة المدينة بالرياض .

٤ ـ اليهودية لأحمد شلبي الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨ م مكتبة النهضة الحديثة .

٥ ـ المسيحية لأحمد شلبي الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨ م مكتبة النهضة الحديثة .

٦ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير طبعة بيروت عام ١٣٣٠ هـ .

٧ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة لعلي عبد الواحد وافي طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٨ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب الطبعة الأولى عام ١٩٨١ م و ١٤٠١ هـ طبعة دار النفائس بيروت .

٩ ـ إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي طبعة المغرب ونسخة أخرى طبعة قطر ١٩٨٠ .

١٠ ـ محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية في الرياض عام ١٤٠٤ .

١١ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي طبعة دار المعارف .

١٢ ـ الموسوعة العربية الميسرة .

د ـ كتب أهل الكتاب :

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ م وهو من طباعة البروتستانت .

٢ ـ العهد الجديد الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨١ م مع حواشيه .

٣ ـ التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق الصوري نشرها وعرف بها أحمد حجازي السقا ، طبعة دار الأنصار بالقاهرة عام ١٣٩٨ هـ و ١٩٧٨ م .

٤ ـ إنجيل برنابا تقديم الدكتور خليل سعادة والناشر محمد رشيد رضا .

٥ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لسعيد بن منصور بن كمونة اليهودي تقديم الدكتور عبد العظيم المطعني طبعة دار الأنصار .

الفهرس